

هذه رسالة مباركة المسماة

# كرامات الصادقين

ولمن يأت برسالة مثلها فله إنعام ألفٍ من الورق،

غير مقلدٍ كان أو من المقلّدين

بقلم:

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

اسم الكتاب: كرامات الصادقين

الطبعة الحديثة: ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

## ***Karāmāt-uş-Şadiqīn***

***By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad*** (Peace and blessings of Allah be upon him), ***the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at***

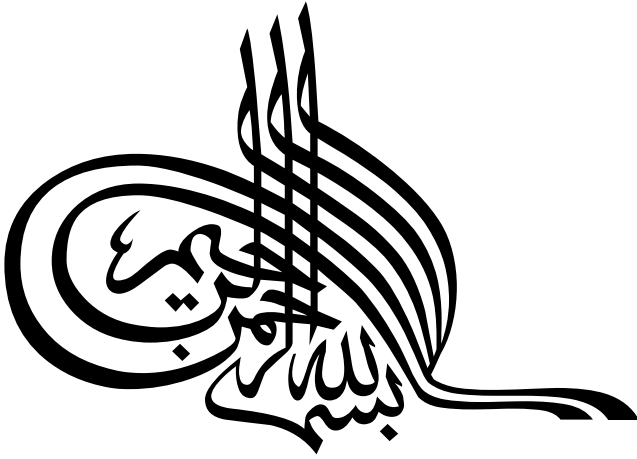
© Al-Shirkatul Islamiyyah

First Published in UK in 2007

By: Al-Shirkatul Islamiyyah  
Islamabad  
Sheephatch Lane  
Tilford, Surrey GU10 2AQ  
United Kingdom

Printed in UK at:  
Raqeem Press  
Islamabad

**ISBN: 185372 875 6**





هَذَا مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ

# كَلِمَاتُ الْإِيمَانِ

وَلَمْ يَأْتِ بِمِثْلِهَا قَلْبُ إِنْسَانٍ

إِلَّا فِي مِثْلِهَا

كَانَ أَوْ مِثْلَهُ

وَأَمَّا

فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَّلَ اللَّهُ

قَالَ لِيُؤْتِيَهُنَّ لِيُؤْتِيَهُنَّ لِيُؤْتِيَهُنَّ

لِيُؤْتِيَهُنَّ لِيُؤْتِيَهُنَّ لِيُؤْتِيَهُنَّ

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب



# فهرس

أ	كلمة الناشر
١	التنبه
٣	رسالة
٣٧	القصيدة الأولى في نعت الرسول ﷺ
٤٠	القصيدة الثانية
٥٧	القصيدة الثالثة المباركة الطيبة في نعت رسول الله ﷺ
٦٤	القصيدة الرابعة
٧٣	تفسير سورة الفاتحة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٧٤	﴿الحمد لله﴾
٧٩	﴿رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين﴾
٩٠	﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
	﴿اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم
٩٣	غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾
١٢٨	إتمام الحججة على المكفرين من العلماء والمشايخ كلهم أجمعين
١٣٣	* رسالة لسيدنا نور الدين ﷺ

\* ملحوظة هامة: هذا العنوان والذي يليه من وضع الناشر لتمييز كلام المسيح الموعود عليه السلام عن كلام المولوي نور الدين عليه السلام وكلام السيد محمد سعيد الطرابلسي عليه السلام.

١٣٦

قصيدة لسيدنا نور الدين رحمته الله

١٣٧

قصائد وتقريظات ورؤيا للسيد محمد سعيد الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

## كلمة الناشر

لقد نشر المولوي محمد حسين البطالوي في مجلته "إشاعة السنة"، الصادرة في كانون الثاني عام ١٨٩٣م، المجلد ١٥، مقالا عاب فيها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بعدم معرفته باللغة العربية، فردّ عليه حضرته عليه السلام بتاريخ ٣٠ آذار/مارس ١٨٩٣م، ومما قال في جوابه:

"الشيخ محمد حسين مصرّ بشدة على أن هذا العبد المتواضع غير مُلِمّ باللغة العربية على الإطلاق بل يجهلها جهلا تاما، وكذلك لا يعرف من علوم القرآن ومعارفه شيئا إطلاقا، ولا يستحق نصرة الله تعالى وتأييده لأنه كذّاب ودجّال، ومع ذلك يدعي بطول باعه في العلم والفضل."

فبغية التمييز بين الصادق والكاذب من بين الفريقين اقترح عليه السلام في إعلانه أن تُنتخب سورة من سور القرآن الكريم بالقرعة ثم يجلس الفريقان في مجلس ويكتبا تفسيرها بكلام مسجع ومقفى في اللغة العربية الفصيحة. ويجب أن يبين الفريقان في هذا التفسير العلوم والمعارف القرآنية التي لا توجد في كتب أخرى. ثم لتتبع التفسير قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وآله تحتوي على مئة بيت بلغة عربية فصيحة وبلغية كذلك. كما اقترح حضرته أن تُعطى الفريقان مهلة أربعين يوما لهذا العمل قبل أن يقرأ في جلسة عامة التفسير والقصيدة. فإذا غلبني الشيخ محمد حسين أو تعادل معي من حيث اللغة أو بيان معارف القرآن الكريم سوف أقر بخططي على الفور

وأحرق جميع كتبي. ولكن لو كانت الغلبة لي لوجب على الشيخ أن يعلن في المجلس نفسه توبته وتراجعه عن موقفه السابق.

وقال حضرته عليه السلام أيضا بأنه يكون للشيخ محمد حسين الخيار أن يستعين في ذلك بمن يشاء من المشايخ المتكبرين من أشياعه. وإن لم يقبل هذه الدعوة في أثناء أسبوعين بدءا من أول نيسان/أبريل من السنة الجارية لاعتُبر ذلك هروبه من المبارزة. ولكن الشيخ المذكور ظل يماطل ويقدم شروطا واهية ويختلق أعذارا سخيفة حتى علم أولو الأبواب من الذين كانوا يراقبون سير الأحداث أنه يريد التسلل من الميدان.

على أية حال لم يبرز في الميدان أحد، لا محمد حسين ولا غيره من المشايخ المتعطرسين. عندها أراد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أن يُعرض عن هرائهم وهذيانهم في المستقبل، ولكنه رأى من المناسب أن يؤلف كتابا بغية إتمام الحجة للمرة الأخيرة على الشيخ محمد حسين وأشياعه الذين يدعون ببراعتهم ومهارتهم في الأدب وبيان معارف كتاب الله العزيز، ولكي يميظ اللثام عن مدى معرفتهم باللغة العربية وعلوم القرآن الكريم، فألف هذا الكتاب القيم باسم "كرامات الصادقين".

يحتوي هذا الكتاب على تحفة نادرة لتفسير سورة الفاتحة بلغة عربية فصيحة، وأربع قصائد نظمها حضرته عليه السلام في غضون أسبوع فحسب وذلك أثناء إقامته المؤقتة في مدينة أمرتسار بُعيد تفرغه من المناظرة مع القسيس عبد الله آتهم، غير أنه أعطى لمحمد حسين ومن معه مهلة شهر كامل بغية إتمام الحجة عليهم.

فلم يقدر أحد من المعارضين أن ينبس ببنت شفة إزاء تحديه عليه السلام لكتابة التفسير وبيان معارف القرآن الكريم. فقال عليه السلام في هذا الصدد ما تعريبه:

"يمكننا أن نتنبأ بناء على فراستنا الإيمانية أن الشيخ (محمد حسين البطالوي) لن يقبل المباراة بهذه الطريقة، وسوف يماطل كما سبقت عادته.... ولكن هناك طريق سهل للشيخ وهو أنه ليس المخاطب الوحيد في الكتاب بل جميع المشايخ الذين يكفرونني ويعتبرون هذا العبد المتواضع الذي يتبع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم خارجًا عن دائرة الإسلام. لذا فلا بد من أن يذهب الشيخ إليهم بكل أدب ويتوسل إليهم وي طرح نفسه على أقدامهم باكيا (ليساعدوه)..... ولكن المشكلة هي أنني قد تلقيت عنه وحيا يقول: "إني مهينٌ من أراد إهانتك"، لذا فإن جهوده كلها سوف تذهب أدراج الرياح. ولو هبَّ أحدٌ من المشايخ بنية فاسدة لمساعدته لَطُرِحَ على الأرض على وجهه. إن الله تعالى سوف يمزق كبر هؤلاء المشايخ المستكبرين، ويريهم كيف ينصر عباده المستضعفين."

فما كان للشيخ محمد حسين ولا لغيره من المكفرين أن يكتبوا شيئاً مقابل هذا الكتاب ويثبتوا براعتهم في اللغة أو معرفتهم بعلوم القرآن الكريم، وهكذا صادقوا على كذبهم وصدقته عليه السلام إلى الأبد.

هناك أمر جدير بالذكر هنا وهو أن الكتاب الأصلي يحتوي على جزء باللغة الأردنية أيضا إضافة إلى الجزء العربي، فترجمناه ووضعناه في مكانه في الكتاب، ونوّهنا إلى ذلك في الهامش.

ولا بد من الإشارة إلى أن الطبعة الأولى قد احتوت على بعض التعليقات والقصائد كتبها تقيظا على الكتاب ومدحًا لحضرة المؤلف عليه السلام كل من حضرة المولوي الحكيم نور الدين البهيريوي والسيد محمد سعيد الشامي الطرابلسي رضي الله عنهما. وكان الكتاب ينتهي بفصل صغير من حضرة المؤلف. لكننا بأمر من حضرة أمير المؤمنين - نصره الله - وضعنا الفصل الأخير لحضرة المؤلف مع كلامه المتسلسل ووضعنا هذه التعليقات والقصائد في نهاية الكتاب.

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوظة حاليًا في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكتب - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنة العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

## مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقاً من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

**أولاً:** إضافة الموصوف إلى الصفة، كقوله عليه السلام:

"وهي أن آدم قد خُلِق في يوم السادس، وأنعم عليه ونُفخ فيه روح الحياة في الجمعة بعد العصر." (ص ٦٦)

ومثاله في القرآن الكريم: ﴿حب الحصيد﴾ (ق: ١٠)

وفي الحديث الشريف:

حدثنا محمد قال: أخبرنا عبدة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي ﷺ، فقام أناس يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا بذلك، فقام ليلة الثانية، فقام معه أناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً، حتى إذا كان بعد ذلك، جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال: "إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل."

(فقام ليلة الثانية) أي الليلة الثانية، من باب إضافة الموصوف إلى

صفته.

(صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة. ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وجمله ووضع فهرسه الدكتور مصطفى ديب البغا)

وهذا الأسلوب شائع مثل قولهم: مسجد الجامع، دار الآخرة وغير ذلك.

ثانياً: صرف ما لا ينصرف، كقوله الْبَيْتِ:

"ولن تجد محامداً لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي." (ص ٤٧)

ورد في مغني اللبيب:

"قريء ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بالتنوين: إما على أنه مصدر كَلَّ إذا أعيا، أي كلوا في دعواهم وانقطعوا، أو من الكَلَّ وهو الثقل أي حملوا كلاً، وجوز الزمخشري كونه حرف الردع وتُونَّ كما في ﴿سلاسلًا﴾. وردّه أبو حيان بأن ذلك إنما صحَّ في ﴿سلاسلًا﴾ لأنه اسم أصله التنوين فرُجِعَ به إلى أصله للتناسب، أو على لغة من يصرف ما لا ينصرف مطلقاً أو بشرط كونه مفاعل أو مفاعيل.

وليس التوجيه منحصرًا عند الزمخشري في ذلك، بل يجوز كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية، ثم إنه وصل بنية الوقف، وجزم بهذا الوجه في ﴿قوارير﴾ وفي قراءة بعضهم ﴿والليل إذا يسر﴾ بالتنوين، وهذه القراءة مُصَحَّحَةٌ لتأويله في "كلا"؛ إذ الفعل ليس أصله التنوين.

(مغني اللبيب الجزء الأول ص ٢١٤ المكتبة العصرية بيروت طبعة ١٩٩١ حرف الكاف تحت كلمة "كلا")

ثالثاً: ترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وهو كثير كقوله الْبَيْتُ:

"...إشارة أخرى، وهو أن الله تعالى خلق الآخرين مشاكليين بالأولين." (ص ٧١)

"فالحق أن الفاتحة أحاطت كل علم ومعرفة، واشتملت على كل دقيقة حقي وحكمة، وهي تجيب كل سائل، وتذيب كل عدو صائل، ويطعم كل نزيل إلى التضييف مائل، ويسقي الواردين والصادرين. ولا شك أنها تزيل كل شك خيب، وتجیح كل هم شيب، وتعيد كل هُدُو تَغَيَّب، وتُحجِّل كل خصيم نيب، ويشير الطالبين. ولا معالج كمثل له سم الذنوب وزيع القلوب، وهو الموصل إلى الحق واليقين." (ص ٩٦)

ومثال ذلك في القرآن الكريم:

﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٦)

وفي الحديث الشريف:

"..... وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ. حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ. فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ. فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ. فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ. فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ. لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ."

(صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُّ حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفُس، والنفْس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص... وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿السَّمَاءُ مَنْطَرٌ بِهِ﴾، فذكر السماء وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف، وكلُّ ما علاك وأظلك فهو سماء".

(فقه اللغة للثعالبي، القسم الثاني فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلم أن هذا النوع غورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصح الكلام منشوراً أو منظوماً، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوّر معنى الواحد في الجمع، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله تعالى ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجرم)... وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائلُ بني أسدٍ ما هذه الصوْتُ  
أنت على معنى الاستغاثة ...

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوبٌ، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة"

(الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حرف الحاء: الحمل على المعنى، ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ الطبعة الأولى ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة بيروت)

رابعا: ورود المعدود على عكس ما هو مألوف كقوله الكتيبة:

"فإذا بشرني ربي بعد دعوتي بموته إلى خمسة عشر أشهر من يوم خاتمة البحث." (ص ١٠٣)

والشاهد على هذا في القرآن الكريم:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنِي عَشْرَةَ أُسْبَاطًا أُمَّمًا﴾ (الأعراف: ١٦١)

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذة الأفاضل: مصطفى ثابت، هاني طاهر، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، فهيم أحمد خالد، محمد يوسف شاهد، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

نبتهل إلى الله - جل شأنه - أن يجعل هذا السِّقَر المبارك سبباً لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناسر



## التنبيه

أيها المكفرون الذين أصروا على تكذيبي، وهموا بتمزيق جلابيبي، اعلموا.. هداكم الله.. أن هذه الرسالة معيارٌ لتنقيد أمري وأمركم، فإن كنتم لا تتناهون عن سبكم، ولا تخافون قهر ربكم، وتظنون أنكم أعلام الشريعة، وأشياخ الطريقة، وعلماء الملة، وفضلاء الأمة، فأتوا برسالة من مثله إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا.. ووالله لن تفعلوا.. فاتقوا الله الذي تُرجعون إليه، واتقوا نارا تأكل أحشاء المجرمين.

ووالله إني ما ألفت هذه الرسالة إلا لكسر نخوتكم، وإطفاء شعلة رعونتكم، وكنت أطيق على رؤية ذلتي ومساع غصّتي، ولكني أردت أن أظهر كيفية علمكم على المنصفين. فنثلتُ كنانتي، وقضيت من دُرر البيان لبانتي، فإن ناوحتم وأتيتم بكلام من مثله فلکم الألف بل أزيد عليه عشرين درهما للغالبين.

ووالله إني ما أرى فيكم إلا إجبال القرائح وإكداء الماتح والماتح، وما أرى عندكم من ماءٍ معين. وأعجبي أنكم.. مع كونكم خاوي الوفاض من المعارف الدينية.. تستكبرون ولا تستحيون، ولا تنتهجون محجة المتقين. فوالذي بعثني لإلزامكم وإفحامكم، لقد سألتُ الله أن يحكم بيني وبينكم، ويوهن كيد الكاذبين. وما عرضت عليكم درهماً وديناراً إلا اختباراً، فإن ناضلتموني تفسيراً ونظماً، فهو لكم حتماً.

واعلموا أن الله يُخزيكم، ويُيري الخلق جهلكم، ويريكم ما كنتم تكذبون  
وتستعلون مستكبرين.

وقد نظمت هذه القصائد بارتجال من غير انتحال، في بلدة  
"عَنْبَرَسَر"، وكان ثمَّ مُشاهدي حزبٍ من المسلمين. ولكني أمهلكم إلى  
شهرين من وقت إشاعة هذه الرسالة، وأرقب ما تجيبون.. أتؤلون الدُّبر  
أو تكونون من المناضلين؟

إن شيخ "البطالة" دعاني غضباناً، فنهضت إليه عجلاناً، وقلت:  
فَمُ فُوم، إني أتيت الآن، ودائيتُهُ بالمصباح المتّقد، ولكني أعلم أنه من  
قوم عمين.

وهذه رسالة قد أُودعتُ دقائق القرآن، وضُمَّخت بطيب العرفان،  
وسيق إليه \* شربٌ من تسنيم الجنان، وسفرت عن مرأى وسيم، وأرج  
نسيم، وتراءت بوجه حَسِين. لمعاًها أزرأت بالجُمان، وصليت القلوب  
بالنيران، وهيجت البلابل في صدور المعاندين. وكتبتها لثلا يبقى  
للجدال مطرح، ولا للمراء مسرح، وليتبين الحق وليستبين سبيل  
المجرمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\* يبدو أنه سهو الناسخ، والصحيح: "إليها". (الناشر)

## رسالة

### لمن يأت بمثلها فله إنعام ألف من الورق\*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وتتباعد الأفكار عن فهم كُنْهِهِ تَبَاعُدُ الليل من النهار، الذي دَعَا النَّاسَ بالقرآن ورسوله المصطفى إلى مآدبة الجَفَلَى من أهل الحضارة والفلا، والصلاة والسلام على حبيبه محمد خاتم النبيين وفخر المرسلين، الذي جاء بالحجج والبراهين، وأسَعَفَ النَّاسَ بِمَاجَاتِهِمْ وَيَمَّمُ إِصْلَاحَ الْعَالَمِينَ. فكم من مُخَلِّقٍ إِلَى الهوى دَخَلَ فِي الرُّوحَانِيِّينَ، وكم من ذي لسان سَلِيطٍ وَغِيظٍ مُسْتَشِيطٍ صَارَ مِنَ الْمَهْدَبِينَ الْمُطَهَّرِينَ. اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى هَذَا الرَّسُولِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي فَاقَ الرَّسَلَ كُلَّهُمْ فِي كَمَالَاتِهِ، وَحَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ فِي سِيَرِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ أُمَّمٍ كَانُوا يُدَاجُونَ وَلَا يُخْلِصُونَ، وَأَصْلَحَ قَوْمًا كَانُوا يَشْرِكُونَ وَلَا يُوَحِّدُونَ، وَطَهَّرَ أَنْسَاءً كَانُوا يَفْجُرُونَ وَلَا يَتَّقُونَ، وَيُنِيخُونَ مَطَايَا نَفُوسِهِمْ وَلَا يَسِيرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقِظُونَ.

وكان (ﷺ) أُمِّيًّا لم يقرأ شيئاً من علوم الدنيا والدين، وبلغ أشده في قوم أُمِّيِّينَ وَعَمِيِّينَ، ولم ير (ﷺ) وَجْهَ الْعَالِمِينَ الْعَارِفِينَ. بل لم يُرْمَ عَنْ وَجَارِهِ، وَلَا ظَعْنَ عَنْ إِفْهِهِ وَجَارِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ سَبَقَ الْعَالِمِينَ وَالْعَالَمِينَ

\* الكلمات التي تحتها الخط ترجمة لعبارة وردت هنا بالأردية. (الناشر)

في عقله وعلومه وبركاته وفيوضه وأنواره، حتى غمرت مواهب هدايته المشارك والمغرب والأجانب والأقارب، وأطال كلُّ ذي ذيل ذيله إلى بركاته، وامتدت أيدي الناس إلى إفاداته وخيراته. فأرى الناس سبل السلام، ونجّاهم من المسالك الشاغرة وطرق الظلام، وطهّهم من شُعب النفاق والشقاق، والنزاع والمشاجرة وسير اللثام. وبصّر العيون، وأحسن الظنون، ونجّى المسجون، حتى ألقى في روع الناس الاستسلام، وثبّط جذبات كفرهم وثبت الأقدام، ونشّطهم إلى الثبات والاستقامة وأقام، فأبصروا ورأوا سبلهم ومنازلهم وتخيروا المناخ، ووردوا الوردَ النُّقَاحَ، وزكّوا ومحصّوا وطهّروا حتى سئموا خيار الناس، وحلّصوا من كل نوع النعاس، وكتملوا في العلم الباطني والخبر الروحاني إلى أن أترعوا بالمعروف الأكياس، وحصحص فيهم نورٌ ينير الناس، وبُدلت شيمهم وقرائحهم، ونُورَت نفوسهم ونُشرت مدائحهم. واعتلقوا بالنبي الكريم اعتلاق الأثمار بالأعواد، ولوّوا أعتتّهم من طرق الفساد إلى مناهج السداد، حتى وصلوا منازل القرب والمحبة والوداد، وبلغوا وانتهوا إلى كمالات قدّرها الله للعباد.

فالحمد لله الذي هدى عباده بهذا الرسول النبي الأمي المبارك وأحيا به العالمين.

أما بعد فليكن واضحاً أن الله ﷻ يتوجه بحسب سنته التي لا تتبدل إلى تأييد هذه الأمة المرحومة عند كل غلبة للظلام، ويبعث عبداً من عباده الخواص لتجديد الدين المتين للمصلحة العامة. فهذا العبد المتواضع أيضاً قد بُعث من الله على رأس هذا القرن بتلقي لقب المجدد وُوهِبَتْ له أيضاً - لإزالة أنواع الفتن السائدة في العالم واقتلاعها وقمعها - تلك العلوم والوسائل التي لا تيسر لأحدٍ ما لم ترزقه العناية الإلهية الخاصة إياها. لكن المؤسف أنه كما هي سنة العلماء غير الكاملين وناقصي الفهم منذ القدم، أتهمّ كلما وجدوا بعض أسرارٍ أرفع من إدراكهم وصفوا منبع هذه الأسرار دوماً بأنه كافر، ولقد سلك بعض المشايخ المعاصرين أيضاً المسلك نفسه، ومع أنني شرحت لهم كثيراً وبكل الأساليب من نصوص القرآن الكريم والحديث، لكن ذرةً من نور الصدق لم تصب قلوبهم، بل على عكس ذلك أبدوا للتكفير والتكذيب حماساً كبيراً إذ لم يكتفوا بتسميتي كافراً فحسب بل سموي أكفر، وأفتوا بحق مؤمن من أهل القبلة أنه سيخلد في جهنم، وقد أقسمت لهم أنا العبد المتواضع مرارا بالله الكريم بل صرحت لهم جالسا في المسجد الذي هو بيت الله أي مسلم، وأؤمن بما قال الله جل شأنه ورسوله ﷺ. إلا أن أولئك السادة لم يقبلوا وقالوا إن هذا الإقرار على شاكلة المنافقين، ولا سيما الشيخ محمد حسين البطالوي الذي أوصل عناده وتعصبه إلى الكمال وقال إنه لن يعدّني من المسلمين حتى لو

١ من هنا إلى صفحة ٣٣ ترجمة عربية للنص الأردني الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

رأى الآية بأمر عينه، بل سيظل يكفّرني للأبد. قد ظهرت بعض الآيات فعلا، لكن السيد البطالوي سماها استدراجا أو تنجيما، وخذع الناس بكل طريقة ممكنة. فمن جملة تلك الخدائع قوله بحقي: "إنه جاهل تماما ولا إمام له بالعلوم العربية مطلقا، وبالإضافة إلى ذلك هو دجال ومفترٍ لا يتلقى أي تأييد من الله". وادّعى إتقانه للغة العربية والتمكن منها بكل اعتزاز وتباه، لكي تترسخ بذلك عظمته في القلوب. وأراد بوصف هذا العبد المتواضع جاهلا وأميا وغير ملّم بالعلوم العربية تماما وملعوناً ومفترياً أن تنغلق على العامة جميع سبل حسن الظن بي، إلا أن قدرة الله عجيبة وغريبة إذ لم يشأ في هذا الأمر أيضا أن يظهر أي شرف أو صدق للبطالوي والمشايخ الذين هم على شاكلته. فصحيح أني في الحقيقة كالأميين، إلا أنه بمحض فضله قد أعانني في علم الأدب ودقائق القرآن الكريم وحقائقه لدرجة لا أجد كلمات تفي بغرض الشكر الإلهي. وبشّرني بأنه إذا بارزني الشيخ البطالوي أو أحد أشياعه فسيواجهه هزيمة نكراء ويهان كثيرا، ولذلك نشرت إعلانا كتبت فيه أن على السيد البطالوي أن يكتب مقابلي تفسيراً لإحدى سور القرآن الكريم باللغة العربية الفصيحة والبليغة لا يقل عن عشرة أقسام، بالإضافة إلى قصيدة في مدح النبي ﷺ باللغة العربية لا يقل عدد أبياتها عن مئة بيت، ومثل ذلك سيكون واجبا علي أيضا أن أكتب للسورة نفسها تفسيراً باللغة العربية الفصيحة والبليغة وأنظم في مدح النبي ﷺ قصيدة تضم مئة بيت، ثم إذا ثبت عند المقارنة والمقابلة أن تفسير

السيد البطالوي وقصيدته أفصح وأبلغ وأتم وأكمل من تفسيري وقصيدتي فسوف أتوب عن دعواي وأوقن بأن الله ﷻ أيد البطالوي المحترم وسأحرق كتيبي. أما إذا كنت أنا الغالب فسيتحتم على البطالوي الإقرار بأنه كان كاذبا محضا في أقواله هذه، ومزورا في قوله بأي مفتر ودجال وكافر وملعون، وجاهل في العلوم العربية لدرجة لا أعرف كتابة صيغة واحدة صحيحة. وكنت كتبت إلى جانب ذلك أنه إذا عرض عن هذه المواجهة أحدٌ منا أو ألغى طريق الاختبار هذا بحجج واهية وحيل باطلة، فعليه **عشر لعنات** من الله تعالى. لكن من المؤسف أن البطالوي لم يبالي بهذه اللعنات أي مبالاة، وأجاب - ناقضا عدة عهود ووعود بحثا عن حيلة - أنه سيلاحظ كتيبي العربية أولا بنظر الاختبار هل هي خالية من السهو والنسيان أم لا، وليتأكد هل يوجد فيها أي خطأ من النحو والصرف أم لا، وإذا لم يجد فيها أي خطأ فلن يكون لديه أي مانع من كتابة التفسير مقابلي ونظم قصيدة تضم مئة بيت، لكن العقلاء أدركوا أنه اكتشف حيلة للمهرب، لأنه يعرف جيدا أن أي تأليف مبسط في العربية أو الفارسية لا يمكن أن يخلو من السهو والخطأ. والباحث عن الحيلة يمكن أن يستند إلى خطأ حتى لو كان من سهو الناسخ. ويبدو أنه يبذل قصارى الجهود؛ وعملا بالمثل الذي تعريبه "لم يجد مهربا من الموت"، قدم هذا العذر المخجل وأفرح قلبه بهذا التصرف السوقي، أنه سيحتج بالعثور على سهو واحد من الناسخ أو بظهور خطأ بالمصادفة، بأنه لما وُجد في أحد كتبك خطأ

فلم يبق هناك مبرر للنقاش، لكن الأسف كل الأسف أن البطالوي لم يفهم أي لا أدعي العصمة قط كما أنه ليس لأي إنسان غير الأنبياء عليهم السلام أن يدعي أنه معصوم. فالذي يؤلف الكتب الضخمة باللغة العربية أو الفارسية فمن المحتمل أن يصدر منه خطأ في النحو أو الصرف بحسب القول المشهور "قلّما سلّم مكثّار"، ولا يتمكن من إدراك ذلك الخطأ لغفلة نظره عنه. كما من المحتمل أن يُنشر خطأ بسهو من الناسخ ولا يقع عليه نظر المؤلف بدافع النسيان البشري. فكيف تتم المقارنة بين القدرات العلمية لكلا الفريقين في هذا النقد أحادي الجانب. باختصار؛ قد تبين من مثل هذه الردود السخيفة للبطالوي المحترم يقينا أن القسّام الحقيقي لم يرزقه أي نصيب من علم التفسير وعلم الأدب، ولم يوهب لقلبه ودماعه ولسانه شيء من لوازم الإنسانية سوى ممارسة اللعن والطعن والمكر. ولهذا خطر بيالي أولا- بمشاهدة تعصباتهم من هذا القبيل- أن أعرض عنهم نهائيا، لكنني رأيت من الحكمة لدحض الفكرة الخاطئة للعامة -بأن السيد محمد حسين البطالوي أو المشايخ المعارضون الآخرون، الذين هم على شاكلة هذا الشيخ، يتمكنون من علم الأدب وحقائق تفسير الكلام الإلهي- أن أنشر هذا الكتيب إتماما للحجة للمرة الأخيرة على البطالوي المحترم والمشايخ الآخرين من شيعته وإظهارا لحقيقة تمكّنهم من اللغة العربية ومعرفتهم الحقائق. وليكن واضحا أن هذا الكتيب يضم أربع قصائد وتفسيرا لسورة الفاتحة. ومع أي قد نظمت هذه

القصائد خلال أسبوع، بل الحق أنها استغرقت سويعات فقط، إلا أني مجرد إتمام الحجة على البطالوي المحترم والمعارضين من شيعته أنشر منذ شهر كامل إقرارا شرعيا قانونيا أنه إذا نشر كتيبه الفصيح والبلغ مقابل هذا الكتيب خلال شهر من نشره، وكان يضم أبياتا عربية بمثل عدد الأبيات في كتيبنا هذا، وتفسيرا لسورة الفاتحة بالتزام الحقائق والمعارف والبلاغة مثلما ورد في كتيبنا، فسوف تُقدّم له جائزة ألف روبية. وإلا فلن يكون مسموحا له بالادعاء في المستقبل أنه أديب وعالم باللغة العربية، أو أنّ له إلماما بمعرفة حقائق القرآن الكريم. ولقد سمعت أن حزب المشايخ هؤلاء يصفونني أنا العبد المتواضع - جالسين في بيوتهم - كاذبا ودجالا وكافرا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقولون إني جاهل مطلقا وعديم الحظ من العلم بالعربية تماما. فمن خلال هذه المواجهة يتبين ويثبت بمنتهى الوضوح هل هم كاذبون في بياهم هذا أم صادقون. فلما كانت قلوب هؤلاء خالية من الأمانة والورع فلا أحب الآن أن أتوجه إليهم مرة بعد أخرى. ومع أنني تُهيت في كشف صريح عن مناظرة المتعصبين معوجي القلوب، وقد نشرت ذلك في كتابي "مرآة كمالات الإسلام" إلا أن هذه المواجهة هي بقصد إظهار الآية. وأتعهد في المستقبل أيضا متمسكا بالورع والتقوى أنه إذا لم ينشر السيد محمد حسين البطالوي أو أي شيخ آخر قصائده وتفسيره مقابل قصائدي وتفسيرتي خلال شهر دون اللجوء إلى أي حجة أو حيلة، فسوف أُعرض عن هؤلاء القوم نهائيا. أما إذا نشر السيد

البطالوي أو أحدٌ من شيعته بصدق النية القصائد وتفسير سورة الفاتحة في صورة كتاب مقابل هذا الكتيب، فأنا أعد بصدق القلب أنه إذا ثبت بشهادة المحكمين أن قصائدهم وتفسيرهم المحتوي على دقائق سورة الفاتحة وحقائقها، يفوق قصائدي وتفسيري المحتوي على الأسرار اللطيفة للسورة المباركة نفسها، وفي كل جانب؛ فسوف أقدم ألف روية نقدا لمن نشر القصائد والتفسير في صورة كتاب خلال شهر من نشر قصائدي وتفسيري. وأتعهد أيضا أنه بعد نشرهم القصائد والتفسير مقابلي إذا ثبت أن كلاً من قصائدهم وتفسيرهم يخلو من أخطاء نحوية وصرفية وبلاغية ويفوق قصائدي وتفسيري درجة، ثم مع كمالهم هذا إذا استخرجوا أي خطأ في قصائدي وتفسيري، فسوف أقدم لهم جائزة خمس روبيات أيضا مقابل كل خطأ. وليكن معلوما أن النقد سهل ويقدر عليه جاهل أيضا، لكن إظهار النكات صعب. وليكن في بالكم عند كتابة التفسير أن تقليد تفسير شخص آخر لن يُقبل، بل سيكون الجدير بالقبول حصرا ذلك التفسير الذي يضم الحقائق والمعارف الجديدة، بشرط ألا تتعارض مع كتاب الله وأقوال رسول الله ﷺ. فقد قال الله ﷻ في مدح القرآن الكريم بجلاء أن فيه تفصيلا لكل شيء. فكيف يمكن أن يبقى أي جزء من المعارف والحقائق خارجه؟ إضافة إلى ذلك يشهد القانون الإلهي في الطبيعة أيضا على أن كل ما صدر منه - حتى لو كانت ذبابة - يُكْرَم في طياته عجائب لا حصر لها. فهل يمكن لأي مؤمن أن يقول إن تركيب

الذبابة أو البعوضة رائع لدرجة لو استمر جميع العلماء في التفكير في اكتشاف خواصها العجيبة إلى يوم القيامة، لما كان من حقهم الادعاء بأنهم اكتشفوا جميع الخواص الكامنة فيها؛ أما نصوص القرآن الكريم فتتوقف عند الأفكار السطحية فقط، لدرجة أنه يمكن لأي شيخ جاهل الادعاءُ بالقاء نظرة عابرة عليها أنه عرف كل ما كان في القرآن الكريم. إن سنة الله ﷻ لا يمكن أن تتبدل. ولا يمكن أن نقول بحق أيٍّ من مخلوقاته- حتى لو كانت ورقة واحدة- أن خواصها معلومة ومحدودة، بل كل واحد من مخلوقاته يكنّ في طياته خواص غير محدودة. ولذلك يتصف كل مخلوق بكونه عديم النظير. ولو أراد العالم بأسره الإتيان بنظيره لما وسعه أبدا، كما قد قال الله ﷻ نفسه في القرآن الكريم أنه لا أحد يقدر حتى على خلق ذبابة، فما سبب ذلك؟ لأن عجائب صنع الصانع في الذبابة أيضا كثيرة لدرجة أنها تفوق قدرات البشر بل قدرات الخلق كله. فلماذا إذن يعد كلام الله منحطا وأدنى درجة من حيث خواصه وحقائقه حتى لا يساوي الذبابة درجة، أليس هذا الكلام هو نفسه الذي قال الله ﷻ بحقه: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>٢</sup>؟ بعض المشايخ الأغبياء- أخزاهم الله- يقولون إن هذا التفرد والتميز يقتصر على كونه عديم المثال في البلاغة فقط. لكن هؤلاء جهلاء جدا وعميان القلوب، فأني شك في كون

<sup>٢</sup> (الإسراء: ٨٩)

القرآن الكريم عديم النظير في بلاغته وفصاحته أيضا، إلا أن القرآن الكريم لم يقصد قط أن تفرده ينحصر في هذه الميزة فقط، بل يقصد ذلك الكلام المقدس أنه عديم النظير في جميع الصفات التي وُصف بها. وليس من الضروري أن تجتمع جميع الصفات لتجعله عديم النظير. كلا بل إن كل صفة له بحد ذاتها بلغت درجة انقطاع النظير. الآن أسجل فيما يلي نموذجا لهذا، بعض صفات القرآن الكريم الكاملة الواردة فيه والتي وُصف بسببها أنه عديم النظير، وهي: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>٤</sup>، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>٦</sup>، ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوفُونَ﴾<sup>٧</sup>، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>٨</sup>، ﴿أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ \* نُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾<sup>٩</sup>، ﴿إِنَّ

<sup>٣</sup> (يونس: ٢)

<sup>٤</sup> (الأحقاف: ٣١)

<sup>٥</sup> (التكوير: ٢٨-٢٩)

<sup>٦</sup> (الأنعام: ٣٩)

<sup>٧</sup> (الجنائفة: ٢١)

<sup>٨</sup> (الواقعة: ٧٦-٨٠)

<sup>٩</sup> (إبراهيم: ٢٥-٢٦)

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴿١٠﴾، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ﴿١١﴾، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿١٢﴾، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ ﴿١٣﴾، ﴿وَمُهَيِّمًا﴾ ﴿١٤﴾، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ﴿١٥﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٦﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿١٧﴾، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿١٨﴾، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٩﴾، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿٢٠﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿٢١﴾، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

١٠ (الإسراء: ١٠)

١١ (الطارق: ١٤)

١٢ (البقرة: ٣)

١٣ (القمر: ٦)

١٤ (المائدة: ٤٩)

١٥ (البقرة: ١٨٦)

١٦ (الحاقة: ٤٩)

١٧ (الحاقة: ٥٢)

١٨ (التكوير: ٢٥)

١٩ (المائدة: ١٦-١٧)

٢٠ (الصف: ١٠)

٢١ (النساء: ١٧٥)

نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٢٢﴾، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا  
مُتَشَاهِجًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ  
وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿٢٣﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ  
يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ ﴿٢٤﴾، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ ﴿٢٥﴾،  
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ ﴿٢٦﴾، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ﴿٢٧﴾، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى  
عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿٢٨﴾، ﴿يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٩﴾،  
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣٠﴾،  
﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ ﴿٣١﴾، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾، ﴿وَبِالْحَقِّ

٢٢ (المائدة: ٤)

٢٣ (الزمر: ٢٤)

٢٤ (يونس: ٣٦)

٢٥ (الشورى: ١٨)

٢٦ (الرعد: ١٨)

٢٧ (النحل: ٦٥)

٢٨ (الحديد: ١٠)

٢٩ (يونس: ٥٨)

٣٠ (ص: ٣٠)

٣١ (مریم: ٩٨)

٣٢ (الإسراء: ١٣)

أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴿٣٣﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿٣٤﴾، ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ ﴿٣٥﴾، ﴿تَبَيَّنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْ أُمَّتِنَا﴾ ﴿٣٦﴾، ﴿رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿٣٧﴾، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾، ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ ﴿٣٩﴾، ﴿قُلْ لَعْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٤٠﴾.

ملخص الترجمة لهذه الآيات كلها أن القرآن الكريم حكيم؛ أي زاخر بالحكم، ويعين الإنسان على قطع جميع أشواط الصراط المستقيم، وهو ذكّر للعالمين أي يذكر كل نوع من الطبائع ويهديها إلى كمالاتها المطلوبة. وينتفع به صاحب كل درجة ورتبة، سواء أكان فردا من العوام أو من العلماء. فقد نزل لمن يريد أن يحقق في نفسه الاستقامة الإنسانية، أي أن هذا الكلام ينمي جميع فروع الشجرة الإنسانية، وبقيمها على حد الاعتدال، ويؤثر بتربيته في كل نوع من

٣٣ (الإسراء: ١٠٦)

٣٤ فصلت: ٤٢-٤٣)

٣٥ (الشورى: ٥٣)

٣٦ (النحل: ٩٠)

٣٧ (الشورى: ٥٣)

٣٨ (الشعراء: ١٩٦)

٣٩ (البينة: ٤)

٤٠ (الإسراء: ٨٩)

القوى الإنسانية. ليست هناك حقيقة لم يشملها، إن تعاليمه تهب البصيرة، وتري المؤمنين طريقا يتقوى به الإيمان، فتشملهم الرحمانية والرحيمية الإلهية، فيرتقون من الإيمان إلى درجة العرفان. ثم يقول الله ﷻ أنا أقسم بمواقع النجوم، وهو لو عرفتم قسَمَ عظيم، على أن هذا القرآن كتاب عظيم الشأن وأن تعاليمه لا تناقض سنة الله بل إن جميع تعاليمه مسجلة في كتاب مكنون، أي صحيفة الفطرة، ولا يكشف دقائقه غيرُ الذين طُهِروا، (لقد أشار الله ﷻ بالقسم بمواقع النجوم إلى أنه كما تبدو النجوم كالنقط بسبب بُعدها الشاسع، لكنها ليست في الحقيقة كالنقط بل هي ضخمة عملاقة، كذلك يخفى القرآن الكريم عن أعين قليلي النظر لرفعته العظيمة وعلو شأنه. والذين تزول غشاوتهم يقدرّون على رؤيته. وفي هذه الآية أشار الله ﷻ إلى الدقائق العالية للقرآن الكريم أيضا، التي تخص عباده الخواص، الذين يطهّروهم الله ﷻ بيده. ولا يصح الاعتراض أنه إذا كان علم القرآن الكريم قد اختُص بالعباد الخواص فكيف يؤاخذ الآخرون في حالة العصيان، ذلك لأن تعليم القرآن الكريم الذي هو مدار الإيمان سلسٌ يفهمه الكافر أيضا، وليس من شأنه أن يخفى عن أي قارئ. فلو لم يكن سلسا مفهوما لبقِي نظام التبليغ ناقصا. لكن الحقائق والمعارف لما لم تكن مدار الإيمان وإنما هي تزيد المؤمن عرفانا، لذا هُدي إلى هذا الطريق الخواصُ فقط، لأنها في الحقيقة مواهب ونعم روحانية توهب لكاملِي الإيمان بعد الإيمان). ثم قال إن كلمات القرآن تماثل شجرة

أصلها ثابت وفروعها ممتدة إلى السماء، تؤتي ثمارها دوماً في موعدها. أي أن فطرة الإنسان السليمة تقبله. والمراد من فروعها في السماء أنه يحتوي على معارف عظيمة، تنسجم مع قانون الطبيعة. ومعنى إيتائها الثمار كل حين أنه يتمتع بتأثير روحاني دائم. ثم قال إن هذا القرآن يهدي إلى طريق قويم لا عوج فيه، وهو يلائم فطرة الإنسان تماماً. ومن أعظم مزايا القرآن الكريم في الحقيقة أنه يحيط بجميع قوى البشر مثل دائرة كاملة. والمراد من الطريق القويم في الآية الكريمة ذلك الطريق الذي هو أقرب إلى فطرة الإنسان، أي إظهاره الكمالات التي خُلق الإنسان من أجلها، وتيسير تلك الطرق له التي فُطر على السلوك فيها، ووُهبَت له القدرة عليه. وإنما المراد من "أَقْوَمُ" في الآية ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هذا الصدقُ حصراً. بعد ذلك قال إن القرآن الكريم يحكم في جميع الخصومات، وهذا القول أيضاً يشير إلى أنه يحتوي على جميع أنواع الحكمة الإلهية، لأن الكتاب الذي هو ناقص وخالٍ من بعض المعارف لا يمكن أن يكون قاضياً وحكماً للمخطئين والمصيبين في الأمور الإلهية بصفة عامة. بل سيعد حكماً فقط عندما يكون جامعاً لجميع العلوم الحكيمة. ثم قال إن هذا القرآن الكريم منزه من جميع أنواع الشك والريب، ولا يتطرق إلى تعاليمه أي شك أو شبهة؛ أي هو زاخر بالعلوم اليقينية. ثم قال إن هذا القرآن الكريم حكمة قد بلغت منتهاها، وهو يشمل جميع الكتب الإلهية، وهو يبين جميع المعارف الدينية، فهو يهدي ويقدم الأدلة على هديه، ثم يميز الباطل

من الحق ويذكر الأتقياء بالموهب الصالحة الكامنة فيهم. وتعليمه حائز على درجة اليقين، وهو ليس بخيلا في بيان الغيب، أي هو يزخر بأمر غيبية كثيرة، ولا يضم أمورا غيبية بذاته فقط بل إن متبعه الصادق أيضا يمكن أن ينال الأمور الغيبية بتلقي الإلهام من الله. وهذا الفيض يخص الكتاب المقدس الذي هو ليس بخيلا، أما الكتب الأخرى مثل التوراة والإنجيل هي الآن بمنزلة البخيل، حتى لو كانت من الله؛ إذ ليس بوسع متبعهما في العصر الحاضر أن ينال منها أي نور. بل إنَّ الإنجيل يسخر من النصرارى، وذلك لأن العلامات التي حددها الإنجيل للنصارى المؤمنين (أي أنهم سيشفون المرضى الذين تكون أمراضهم مستعصية- أي العميان من الولادة والمجدومين والعرج والصرم- وسيحرِّكون الجبال من مكانها، وأنهم لن يموتوا بتناول السم) فهذه العلامات مفقودة في النصرارى. بل إن عيسى عليه السلام بقوله "إذا كان فيكم الإيمان مثقال حبة من خردل فسوف تنجزون من الأعمال مثلي بل سوف تنجزون أكثر مني" قد أكد على أن جميع النصرارى عديمو الإيمان. فلما ثبت أنه لا دين لهم فليس من حقهم أن يحاوروا أحدا في صدق الدين قبل أن يثبتوا إيمانهم؛ لأن أوضاعهم تشهد على أنهم إما ملحدون لفقدان علامات محدَّدة للإيمان فيهم، وإما قد كذب من حددهم العلامات التي لا توجد فيهم. ويثبت من كلا الاحتمالين أن النصرارى بعيدون كل البعد عن الصدق وهجره ولا نصيب لهم منه. أما العلامات التي بينها القرآن الكريم لمتبعيه فهي موجودة في مئات

المسلمين؛ مما ثبت أن القرآن الكريم كلام الله الحق. أما إذا عددنا النصارى مؤمنين فهذا يستلزم الإيمان بأن الإنجيل المعاصر كلامٌ شخص يريد أن يقيم جماعته استناداً إلى النبوءات الكاذبة. ولا يغيبن عن البال أنّاً بهذا الخطاب لا نوجه الهجوم إلى حضرة المسيح عليه السلام، لأننا نعرف أن هذه الأمور إذا كانت من المسيح فقد كتب علامات المؤمنين. ثم إذا ترك أحدهم الإيمان فما ذنب المسيح عليه السلام في ذلك؟ بل الحقيقة أن المسيح عليه السلام قد تنبأ في حلة هذه العلامات بزمن لن يبقى فيه النصارى مؤمنين؛ أي قد قال لهم: أيها النصارى؛ إذا أتى عليكم زمن لا توجد فيكم هذه العلامات فاعلموا أنكم أصبحتم عديمي الإيمان، ولم يبق فيكم الإيمان مثقال حبة من خردل. وليس من شك في أن هذه العلامات كانت موجودة في بعض الخواص من النصارى قبل ظهور نبينا الكريم عليه السلام وكانت تظهر منهم الخوارق. لكنهم حين صاروا عديمي الإيمان في زمن بعثة النبي عليه السلام لعدم الإيمان بسراج الحق ذاك، ولم يبق فيهم الإيمان مثقال حبة من خردل، عندئذٍ ظهرت فيهم علامات عدم الإيمان بصفة عامة. يجب على المسلمين أن يطالبوا النصارى مراراً وتكراراً إثبات إيمانهم بحسب العلامات الواردة في الإنجيل للإيمان، حتى يُثبتوا أنهم مصداق ﴿أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي أن يُظهروا علامات الإيمان. يجب أن يُسألوا: إلى أي دين تدعون؟ إلى الدين الإنجيلي الذي ورد عن معتنقيه أنهم يحظون بروح القدس، وهم يظهرون خوارق معينة؟ فإذا كنتم تدعون إلى الدين نفسه فحسناً أظهروا تلك

العلامات، وأثبتوا أولاً أنكم نصارى مؤمنون في الحقيقة، ثم ادعوا الآخرين إلى الإيمان المشرق الثابت بالأدلة. أما إذا فُقدت علامات ذلك الإيمان فالنجاة التي تحقيقها يتوقف على الإيمان ستكون باطلة، كما هو باطل إيمانكم. ولا يمكن أن تكون ثمرة الإيمان الكاذب نجاةً صادقة، بل ستكون نجاة كاذبة لا تقي عذاب جهنم. باختصار؛ لا يستحق أي مسيحي بوصفه مسيحياً أن يحاور، ما لم يثبت صدق إيمانه بحسب العلامات الواردة للإيمان في الإنجيل. وأنى لهم ذلك.

نتابع كتابة الترجمة لبقية الآيات ونقول: إن الله ﷻ يقول: إن كلاً من القرآن والرسول نور جاءكم، هذا الكتاب يبين كل حقيقة، وأن الله يري بواسطته سبل السلام للذين يتبعون رضوان الله، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويريهم الصراط المستقيم المؤدي إليه ﷻ. هو الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليجعل هذا الدين غالباً على الأديان كلها. أيها الناس؛ إن القرآن الكريم برهان وجدتموه من الله وهو نور مبين أنزل إليكم، اليوم أكمل لكم الدين وأتممت عليكم جميع النعم، وانحصر رضاي في أن تتمكسوا بالإسلام. لقد أنزل الله إليكم كلاماً كاملاً ومحبياً، ومن مزايا هذا الكتاب أنه متشابه، أي أن تعاليمه لا تتناقض ولا تنافي قانون الله في الطبيعة، بل إن الكمال الذي هو ضروري للإنسان من حيث فطرته وقواه، فإن تعليم هذا الكتاب يناسب ذلك الكمال نفسه، وهذه الميزة لا توجد في تعليم التوراة والإنجيل، بل قد تجاوزت التوراة حد التركيز على القسوة

والانتقام، واقترحت تلك القسوة بحق المطيع والعاصي والصديق والعدو، بحيث يبدو أن تعليم التوراة واجه اضطرابا نظرا لكونه لشعب معين في زمن محدد، ولأن أحكام التوراة الموافقة للقانون العام البسيط في الطبيعة لم تكن لتفيد تلك الشعوب. فمن هذا المنطلق مارست التوراة القسوة تجاه أمتها داخليا، وصار العفو والصفح كأنه حرام على اليهود، واقتلاع سبِّ الأخ قصاصا عُدَّ ثوبا. وفي حقوق الله أيضا فرضت تكاليف شاقة لحد لا تطاق، وتضر المعيشة والتمدن. وكذلك كانت الأوامر الخارجية للتوراة أيضا شديدة جدا إذ بموجبها دُمرت قرى المعارضين والعصاة المتمردين ومدنهم وقُتل مئات الألوف من الأولاد كما قُتل الشيوخ والعميان والعرج والنساء الضعيفات أيضا.

بينما عدَّ العطف والرفق أكثر من اللازم والرحم والعفو في تعليم الإنجيل كأنها فريضة. وخارجيا إذا هاجم الأعداء الدينَ فالمقاومة بحسب الإنجيل حرام، حتى لو مزَّقوا الفقراء والضعفاء أمام أعينهم وقتلوا أولادهم وأسروا نساءهم وأسأؤوا إليهن بكل الأساليب وهدموا معابدهم وأحرقوا كتبهم. باختصار؛ حتى لو دمروا أمتهم بأي طريقة كانت، لا يُسمح لهم بالدفاع. كذلك لا يوجد في الإنجيل داخليا أي عقوبة أو قانون لمعاينة المجرم على جريمته، ومحافظة على حقوق أفراد الأمة، وإنما التركيز الشديد على الرُّحم والعفو والصفح - وإن كان أقل بكثير من أتباع مذهب الجينية - لدرجة أن لم يراعِ أي خلق آخر. صحيح أن تقديم الخد الثاني بعد تلقِّي اللطمة على الخد الأول قد

يكون تعليماً رائعاً في نظر غيبي، لكن الأسف على أن هؤلاء لا يفهمون هل عمل أحدٌ بهذا التعليم في أي زمن ما؟ وإذا عملوا على سبيل الافتراض فهل بقي عدد السكان نفسه ولم يحدث أي خلل في نفوس الناس وأرواحهم وأموالهم وسلام المجتمع؟ فهل هذا التعليم يوافق سنة خالق العالم التي تحتاج إليها الطبائع المختلفة للناس. ألا يلاحظون أن جميع الطبائع ميالة بالطبع إلى معاقبة المجرمين، وأن كل حكومة سنت قوانين تُعاقب المجرم عقوبة مستحقة لمنع الجرائم، وأن نظام أي بلد لم يسر على ما يرام بمجرد الرُّحم دون قوانين العقوبة. لقد ارتكب المسيحيون سفك الدماء إثر مللهم من تعليم الرُّحم والرفق دوماً، لدرجةٍ قد لا يكون لها نظيرٌ في العالم. وكما أن الماء يغمر المناطق المجاورة بعد هدم الجسر، ارتكبت الأمة المسيحية مثله التصرفات البشعة بعد تركها تعليم العفو والصفح؛ فكون هذين الكتابين ناقصين وغير كاملين واضح جلي. أما القرآن الكريم فقد مشى في تعليمه الأخلاقي بمحاذاة قانون الطبيعة، فقد حثَّ على الرُّحم حين يتطلب قانون الطبيعة الرحمة، كما علّم الغضب والعقوبة بقدر ما يسمح به قانون الطبيعة من ممارسة القسوة والشدة والغضب بحسب المبدأ نفسه. فتعليمه كاملٌ من كل النواحي داخلياً وخارجياً. وإن تعاليمه واقعة على الدرجة القصوى للاعتدال، وتروي جميع فروع شجرة الإنسانية، لا فرعاً واحداً فقط، وهي تربي جميع القوى لا قوة واحدة. وقد أشير إلى هذا الاعتدال والالتزان في الحقيقة في قوله تعالى ﴿كِتَابًا مُّتَشَاهِجًا﴾

ثم في كلمة ﴿مَّتَّابِي﴾ أشير إلى أن آيات القرآن الكريم تتسم بكلا النوعين من النور عقلا نيا وروحانيا. ثم قال بعد ذلك أن القرآن يفيض ببيان عظمة الحق لدرجةٍ تقشعر لها قلوب المستمعين إلى آياته، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ﷻ. ثم قال إن هذا الكتاب حق وهو ميزان الحق أيضا، أي يُعرف الحق بواسطته أيضا. ثم قال إن الله أنزل من السماء ماء فسال كل واد بقدره أي أن القرآن الكريم يربي جميع الطباع الإنسانية بحسب فهم كل واحد منها وعقله وإدراكه. وهذا يستلزم الكمال التام، لأن في هذه الآية إشارة إلى أن القرآن الكريم بحر واسع زخار بالمعارف لدرجة أن يرتوي منه كلُّ عطاشى المعارف الحقة والحب الإلهي. ثم قال إنا أنزلنا هذا القرآن الكريم لكي يفصل في الاختلاف الذي حصل بين الأمم السابقة. ثم قال إن هذا القرآن يُخرج من الظلام إلى النور، وفيه شفاء لجميع الأمراض، وهو مليء بأنواع البركات؛ أي المعارف وما ينفع الناس. وهو يجدر بالتدبر، وأن يعمن العاقل النظر فيه، وبه تتم الحجة على جميع الخصوم الألداء، وفيه تفصيل كل شيء، وقد أنزل عند الضرورة الحقة ونزل بضرورة حقة، وهو كتاب عزيز ولا يتسرب إليه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو نور أيضا يُهدى به، وفيه بيان كل شيء، وهو روح، وهو كتاب عربي فصيح وبلغ وفيه جميع الحقائق غير القابلة للتبدل. وإذا أراد جميع الجن والإنس الإتيان بنظير له - أي إذا أراد أحد من بني آدم

والجن أن يأتي بمثيل يتَّسم بجميع الصفات الكاملة التي ذُكرت له - فلن يتمكن من ذلك، ويتعذر عليه حتى لو كان بعضهم لبعض نصيراً.

لقد ثبت هنا في هذا الموضوع أن القرآن الكريم ليس عديم النظير من حيث بلاغته وفصاحته فقط بل هو منقطع النظير بسبب جميع محاسنه التي يصف نفسه بأنه يشملها، وهذا هو الصحيح؛ لأن ما صدر من الله تعالى ينبغي أن لا يكون عديم النظير في ميزة واحدة فحسب، بل يجب أن يكون عديم المثال في كل ميزة. لا شك أن الذين لا يعدّون القرآن الكريم جامع الحقائق غير المحدودة والمعارف هم من زمرة الذين ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. فمن أبرز علامات معرفة كلام الله الحق الصادق أن يكون عديم المثل في جميع صفاته. لأننا نرى أن كل ما صدر من الله تعالى هو عديم النظير حتى لو كانت حبة شعير، ولا تقدر القوى البشرية على منافستها. وكونُ شيء عديم المثال يستلزم كونه غير محدود؛ أي لا يعد شيء عديم النظير إلا إذا لم يكن لعجائبه وخواصه أيُّ حد أو طرف. وكما بينا فإنَّ هذه الميزة متحققة في كل واحد من المخلوقات الإلهية. فمثلاً إذا أراد أحدهم أن يبحث في عجائب ورقة من شجرة على مدى ألف سنة، فسوف تنتهي ألف سنة دون أن تنتهي عجائب تلك الورقة. والسرُّ في ذلك أن الشيء الذي صدر من القدرة غير المحدودة يجب أن تكون فيه عجائب وخواص غير محدودة. وتؤيد الآية ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ

رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا<sup>٤١</sup> هذا الأمر نفسه من حيث أحد معانيها. ذلك لأن المخلوقات كلها كلمات الله من حيث معانيها المجازية. وفي ضوء ذلك نفسر الآية ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾<sup>٤٢</sup>. لأنه لا شيء زائد في ابن مريم عن مخلوقات أخرى؛ فإذا كان هو كلمة الله فآدم أيضا كلمة الله وأولاده أيضا، لأن كل شيء حُلق بكلمة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. وكذلك إن صفات المخلوقات ومزاياها أيضا ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي بمعنى مجازي. لأنها كلها صادرة من كلمة ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. فمعنى هذه الآية نظرا لهذه المعاني أن خواص المخلوقات لا حد لها ولا نهاية. فلما لم يكن لخصائص كل شيء وكلِّ مخلوق أيُّ حد ونهاية، وكلُّ شيء يحتوي على عجائب غير محدودة، فكيف يكون القرآن الكريم -الذي هو كلام الله المقدس- محدودا في عدد من هذه المعاني الواردة في أي تفسير ذي أربعين أو خمسين مجلداً أو ألف جزء أو في القدر الذي بينه سيدنا ومولانا النبي ﷺ في زمن محدود؟ كلا بل إن مثل التفوه بمثل هذه القول يكاد أن يكون كفرا في رأيي. وإذا أصر أحدهم على ذلك عن عمد فيخشى أن يكون كافرا. وصحيح أن المعاني التي بينها النبيُّ المقدس ﷺ للقرآن الكريم هي حصرا صحيحة وحقة، لكنه ليس من الحق البتة القول إن القرآن الكريم لا يحتوي على أكثر من المعارف التي بيَّنها النبي

<sup>٤١</sup> (الكهف: ١١٠)

<sup>٤٢</sup> (النساء: ١٧٢)

ﷺ فقط. فهذه الأقوال لمعارضينا تدل صراحة على أنهم لا يؤمنون بعظمة القرآن الكريم ومحاسنه غير المحدودة. وأن قولهم بأن القرآن الكريم نزل للذين كانوا أميين يُثبت أكثر أنهم لا حظ لهم من بصيرة معرفة القرآن الكريم نهايها. فهم لا يدرون أن نبينا ﷺ لم يُبعث إلى الأميين فقط. كلا بل إن أمته تشمل الناس وكل مرتبة وطبقة. يقول الله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>٤٣</sup>، فقد ثبت من هذه الآية أن القرآن الكريم نزل لإكمال كل نوع من الكفاءة، وإلى ذلك في الحقيقة تشير الآية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَآئِمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>٤٤</sup>. فالفكرة القائلة بأن كل ما بينه النبي ﷺ عن القرآن الكريم يستحيل أن يزيد عليه أحدٌ لبديهية البطلان. لقد أثبتنا بأدلة قطعية ويقينية جدا أنه من الضروري لكلام الله أن تكون عجائبه غير محدودة وعديمة المثال. أما إذا اعترض أحد وقال إنه إذا كانت العجائب والخواص من هذا القبيل تكمن في القرآن الكريم فلاي ذنب حُرْم الأولون من هذه الأسرار؟ فجوابه أنهم لم يكونون محرومين كلياً من الأسرار القرآنية بل قد وُهبَت لهم المعلومات العرفانية التي كانت خيراً لهم في إرادة الله ﷻ. كما أظهرت في هذا الزمن من الأسرار قدر ما كان إظهارها ضروريا نظراً لحاجات هذا الزمن. أما الأمور التي تعد مدار الإيمان والتي بناء على معرفتها وقبولها يعدّ أحد مسلماً، فقد ظلت تُنشر في كل عصر

<sup>٤٣</sup> (الأعراف: ١٥٩)

<sup>٤٤</sup> (الأحزاب: ٤١)

باستمرار. إنني أستغرب من أين سمع هؤلاء المشايخ ناقصو الفهم أنه من الواجب على الله ﷻ أن يُظهر في الماضي أيضا بعض آلائه عز اسمه ونعمائه التي قدّر إظهارها في زمن مستقبل. كلا بل لا يجد أي سليم الحواس بدءًا من الإيمان بأن بعض نعماء الله التي ستظهر في المستقبل لا يكون لها أي أثر وعلامة في الماضي. لاحظوا أن الخواص التي اكتشفت في العصر الراهن لمئات النباتات الجديدة، أو أنواع الصناعات والمراكب وتسهيلات المعيشة التي ابتكرت الآن؛ متى وجدت في السابق؟ وإن قيل أين نموذج الحقائق والدقائق القرآنية التي لم تكتشف في الماضي، فجوابه أنكم ستطَّلعون - بقراءة تفسير سورة الفاتحة في نهاية هذا الكتيب - على أن القرآن الكريم يضم الحقائق والمعارف الخفية من هذا النوع التي هي ملائمة لضرورات كل زمن.

ولا يغيبن عن البال أخيرا أنني لم أكتب هذه القصائد وهذا التفسير بدافع أي رياء أو الإعجاب بالنفس أو كسبًا للمدح، وإنما قصدي من ذلك أن يتضح على أصحاب العدل والإنصاف بحقِّ السيد البطالوي ومن هم على شاكلته ما أكذبهم وأبعدهم عن الدين والأمانة في إصرارهم على أن هذا العبد المتواضع مفترٍ ودجال بالإضافة إلى كونه محروما تماما من علم الأدب، وعديم الحظ من حقائق القرآن الكريم ومعارفه، وأنهم هم العلماء الأفاضل من الدرجة العليا. إذا كان ميان البطالوي على حق وصادقا في تصريحاته وثرهاته التي نشرها في مجلته "إشاعة السنة" عن كون هذا العبد المتواضع سفيها وجاهلا ومفتريا،

فلا شك أنه سينشر بلا حجة وحيلة أربع قصائد في مدح النبي ﷺ وتفسير سورة الفاتحة أيضا مقابل هذه القصائد والتفسير عددا وكثما. لكي يسودَّ وجه كل من يكذب ويזור. وكذلك فإن جميع المشايخ الذين قد حلت بجمجتهم دودة التكبر والذين يعدّون هذا العبد المتواضع - رغم إظهاره الإيمان مراراً وتكراراً - كافرا ومرتدا ويرون أنفسهم شيئا معتداً به، مدعوون لهذه المواجهة سواء أكانوا مقيمين في دهي مثل ميان شيخ الكل -ميان نذير حسين الدهلوي- أو في لكهوكي مثل ميان محيي الدين ابن المولوي محمد المحترم أو في لاهور أو في أي مدينة أخرى. ومن مقتضى حيائهم وخجلهم الآن أن يبارزوا ويأخذوا ألف رويية. ولهم الخيار في أن يستخرجوا أخطاءنا أثناء إظهار الكفاءة العلمية مقابلنا، أو يختبروا كفاءتنا في علم النحو والصرف وفي الوقت نفسه يخضعوا هم أيضا للاختبار نفسه. إلا أنه سيكون من الوقاحة أن يفرضوا أنفسهم من طرف واحد أساتذة دون أن يُظهروا قدراتهم العلمية مقابلنا.

فليكن معلوما هنا أن جميع الأخطاء التي أخرجها الشيخ البطالوي من الكتب العربية لهذا العبد المتواضع، إذا كان يثبت منها شيء فإنما هي وقاحة هذا الشيخ وعمايته التي قد بلغت درجة يرى فيها الصحيح خاطئا والفصيح ركيكاً. ولا نعرف لأي مدى يريد هذا الشيخ السفیه أن يفضح نفسه وما هي الذلة والحزني الذي قُدر له. بعض الأدباء من أهل العلم سيكون بسماع أقوال هذا الشيخ وإطلاعهم

على هذه الانتقادات من هذا النوع، على درجة ما وقع فيه في وحل الجهل المركب. لقد كتبتُ سابقاً وأعيد الآن أيضاً لتذكير القراء، أنه إذا نجح ميان البطالوي في منافسة قصائدي الأربع وتفسير سورة الفاتحة وثبت أن قصائده وتفسيره منزهة من الأخطاء النحوية والصرفية والبلاغية في رأي المنصفين، فسوف أهدى للشيخ البطالوي خمس رويات مقابل كل خطأ في قصائدي والتفسير أو في أي مؤلَّف لي باللغة العربية. وأنا أؤكد للقراء أن الشيخ البطالوي عديم الحظ تماماً من علم اللغة العربية، بإخراج الأخطاء مهمة أولئك الذين يكون نظرهم محيطاً بالكلام العربي القديم والحديث، المطلعين على التعبير وعدم التعبير والأمثال وآلاف الأبيات العربية، والمتمتعين بموهبة التتبع والاستقراء. أما هذا الشيخ المسكين الذي أصابه الشيب في التأليف

باللغة الأردنية فأين هو من علم الأدب والبلاغة والفصاحة بالعربية؟

فما أدراه ما علم الأدب والبلاغة والفصاحة، فهل سمع أحدٌ قطُّ أو شاهد أن هذا الشيخ نشر بضع مئات أبيات باللغة العربية من نظمه؟ أما أنا فلا أتوقع منه القدرة على نظم بيت واحد باللغة العربية الفصيحة والبليلة. أجل إنه يعرف اللغة الأردنية بالتأكيد. فليتدبر القراء أن هذا العبد المتواضع وإلمامة اللثام عن معرفته باللغة العربية قد كتب في الإعلان سلفاً أن يكتب الشيخ المذكور تفسير أي سورة من القرآن الكريم مقابلتي بالنص الفصيح البليغ العربي، وأن ينظم قصيدة أيضاً تضم مائة بيت جالسا بجذائي. فلو كان للشيخ المذكور إلمامٌ باللغة

العربية لواجهني بكل سرور وأحرز جدارته في إتقان اللغة العربية جالسا عندي وجها لوجه. لكن ينبغي قراءة الصفحات من ١٩٠ إلى ١٩٢ من مجلته إشاعة السنة رقم ٨ مجلد ١٥ بتدبر لمعرفة كيف خلّص نفسه بتقديم شروط ركيكة. فقد ورد في هذه الصفحات أنه سيُخرج قبل هذه المواجهة أخطاء في النص العربي لكتيب "دافع الوساس"، كما سوف يعرض كلمات الكفر والإلحاد الواردة في كتاب "فتح الإسلام وتوضيح المرام" بالإضافة إلى طلب الرد على ٨٥ سؤالاً طرحه بصدد موت مرزا أحمد بيك الهوشياربوري المكتوبة في الرسالة رقم ٢٠ المؤرخة ١٨٩٣/١/٩م كما أنه سيعرض علي سؤالاً حول معرفتي علم التنجيم وهل أعرف علم الرمل والجفر والمِسْمَرِيَّة؟ ثم سوف يطلب الرد على ردوده التي ردّ بها على ردودي وهكذا ستستمر سلسلة الردود، ثم سوف يسألني الدليل على كوني ملهما ومؤيدا من الله بخصوص كتابة التفسير باللغة العربية. أي كيف يثبت من إتقاني اللغة العربية أني أتلقى الإلهام من الله؟ ثم سيطلب دليلا على كوني ملهما ومؤيدا من الله، وإذا نجحتُ في الرد على كل هذه الأسئلة فسوف يواجهني في كتابة التفسير باللغة العربية والقصيدة في مدح النبي ﷺ وإلا فلا.

فاقرأوا الآن أيها القراء بالله عليكم هذه الصفحات الثلاث من إشاعة السنة المذكورة أي ١٩٠-١٩١-١٩٢ بتدبر، لتعرفوا هل هذه الإجابة والحيل من هذا الطراز يمكن أن تصدر من شخص يعدّ

نفسه في الحقيقة من علماء اللغة العربية الأفاضل؟ والذي يوقن بأن خصمه جاهل لدرجة أنه لا يعرف -بحسب قوله- أي صيغة عربية، وهو لا يتلقى الدعم من الله. إنما كان أساس طلبنا على أن هذا الشيخ المكار المتهال كان قد بدأ يصرح في الجلسات والندوات والمواظع وفي خطاباته وكتاباتاته في كل مكان بأن هذا الإنسان (أي هذا العبد المتواضع) مفترٍ في دعواه بتلقي الإلهام من ناحية ودجال وكاذب، ومن ناحية أخرى يجهل العلوم العربية وعلم الأدب وعلم التفسير وأميٍّ لدرجة أنه لا يمكن أن تخرج من فمه صيغةً صحيحة واحدة. وكان قد كذّب بالآيات السماوية التي ظهرت سابقاً وحسبها من علم الرمل والجفر. لذا قد أراد الله ﷻ أن يخزي هذا الرجل ويهينه من هذه الناحية أيضاً. فالواضح جلياً أن هذا الرجل لو كان من أهل العلم والأدب لما كانت هناك حاجة لطرح مئة أو مئتي شرط وحيلة كهذه. إنما كان الأمر الجدير بالتنقيح، التأكيد إن كان الشيخ المذكور صادقاً أم كاذباً في تصريحاته التي نشرها في كل مكان، وإن كان هذا العبد المتواضع أقل منه درجة أو أكثر في الكتابة باللغة العربية والتفسير. وكنت قد أقررت في حال فاقني أي سوف أحرق كتيبي وأتوب، وكنت حددت أربعين يوماً لهذه المسابقة مراعاة للشيخ المذكور. إلا أن الشيخ فسّر ذلك خبثاً أي قصدت من تحديد أربعين يوماً أن الشيخ سوف يموت بعد أربعين يوماً، مع أنه ورد بوضوح أن المسابقة ستطول أربعين يوماً لا أن الشيخ سوف يرحل من هذا العالم بعد أربعين يوماً. فلما لم

يُرد الشيخ المواجهة على هذا النحو وصرّف القضية بأسلوب سخيّف لذا اضطررنا لتغيير الجانب لهذه المواجهة. ونستطيع أن نتنبأ بفراسة الإيمان بأن الشيخ لن يقبل أبداً أسلوب المواجهة هذا أيضاً، وسوف يسعى لإلغائها بحسب عاداته القديمة. الحقيقة أن الشيخ المحترم لا حظّ له من علم الأدب والتفسير تماماً وإنما اشتهر باسم الشيخ لسبب مجهول. إلا أن أمام الشيخ المحترم طريقة سهلة، لأن المخاطب في هذا الكتيب ليس شيخاً محترماً وحده بل المخاطبون جميع أولئك المشايخ المكفّرين الذين يعدّون هذا العبد المتواضع المتبع لله والرسول خارجاً من دائرة الإسلام. فيجب على الشيخ أن يتوجه إليهم بتعظيم، ويتوسل إليهم ويكيّ أمامهم ويخر على أقدامهم لينقذوه من الفضيحة في إيعاء إتقانه اللغة العربية في هذه الساعة الحرجة. فليس من المستبعد أن يشفق عليه أحدهم. لكن سيلزمه أنه إذا توجه إلى شيخٍ حنفي أن يقول له بأنه الآن حنفي، أما إذا توجه إلى الشيعة فليقل أنه من شيعة أهل البيت! فقد سمعنا أن الشيخ قد اتخذ هذا المنهج في هذه الأيام. لكن المشكلة أني قد تلقيت إلهاماً بحق هذا الشيخ وكلّ مكفر يريد السوء لي: "إني مهين من أراد إهانتك". لذا ستكون جميع مساعي الشيخ المحترم عبثاً. وإذا نهض أي شيخ زهوا واحتيالاً لتأييد الشيخ المحترم فسوف يُكبّ على وجهه. سوف يكسر الله كبر هؤلاء المشايخ المستكبرين وسوف يريهم كيف يؤيد المتواضعين، ويلقي بالأشرار في النار المضطّرة. يقول الشرير إني سوف أغلب بمكري ودهائي

وشطارتي وإني سوف أحو الصدق والحق بمكايدي. وتقول له قدرة الله وطاقته: أيها الشرير، مَنْ علّمك نسج المكايد مقابلي؟ أَلستَ الذي كان قطرة مهينة في الرحم، فهل تقدر على أن تُبطل كلامي؟ وأخيرا أكشف على العامة أنني أقسم بالله جل شأنه بأني لست كافرا، بل أعتقد بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأؤمن بالنبي ﷺ بحسب ما ورد في ﴿لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>٤٥</sup>. وإني أقسم على صدق بياني هذا بقدر أسماء الله الحسنى وبقدر حروف القرآن الكريم وبقدر كمالات النبي ﷺ عند الله ﷻ. فليس أي معتقد لي يخالف قول الله ورسوله. أما الذي يظن ذلك فهذا سوء فهمه، والذي ما زال يعدني كافرا ولا يكفّ عن التكفير فليعلم يقينا أنه سيُسأل بعد الموت؟ إني أقول مقسما بالله جل شأنه بأن يقيني بالله ورسوله ثقيل لدرجة أنه لو وُضع إيمانُ الناس كلهم في العصر الراهن في كفة ووضع إيماني في كفة أخرى فسوف يثبت أن هذه الكفة ستكون راجحة بفضله تعالى.<sup>٤٦</sup>

<sup>٤٥</sup> الأحزاب: ٤١

<sup>٤٦</sup> تنتهي هنا ترجمة النص الأردني الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

## بسم الله الرحمن الرحيم

واعلموا يا معشر المسلمين.. أن هذا الشيخ قد كذّبني وأكفرني  
بغير علم وهُدَى، واعتدى في الإكفار وطفق يسبّي ويحسبني من الذين  
يدخلون جهنم خالدين فيها وليسوا منها بخارجين. فقلتُ ويحك أيها  
الشيخ الضال، أفضوتَ ما ليس لك به علم، والله يعلم أي من  
المؤمنين. وقد ربّاني ربّي وحببي، وأدبني فأحسن تأديبي، ورحمني  
وأحسن مثوأي، وإني من المنعمين. ولم يزل ينتابني فيضانه، ويتواتر عليّ  
إحسانه حتى خرجتُ من البيضة البشرية، وأدخلتُ في الروحانيين.  
ومن بعد أنزلني ربّي لإصلاح الضالين، لأنصر الدين وأرجم الشياطين.  
وإن كنتَ في شك من أمري فسوف يُريك ربي آياته، فكن من  
الصابرين الذين يتقون الله، ولا تكن من المستعجلين. فأبى واستكبر  
وأراد أن يكون أول المُكفرين. وما اقتصر على التكفير بل سبّي  
ولعني وحسبني من الملعونين. واللهُ يعلم قلبي وقلبه وهو خير المحاسبين.  
ثم دعوته للمباهلة ليحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. فلم يُباهل  
وفرّ، وعلى الفرار أصرّ، ولم يكن فراره بنية الصلاح، بل لتوقّي  
الافتضاح، والافتضاح ملاقيه وإن كان من الهارين. وكان قد ادّعى أنه  
عالم أديب وأنا من الجاهلين. فدعوته للنضال في كلام عربي مبین،  
وقلت تعال أناضلك في النظم العربي ونثره وأقول ما تقول، وفي كل وادٍ  
معك أجول، وإني إن شاء الله من الغالبين. فأشاع في شياطينه أنه قرئ

مجالى وقرين جدالى، فلزقتُ به كالداء العُضال، ليارزني للنضال إن كان من الصادقين. فخاف وأبى، ونحت الحَيْلَ وتولَّى، ولا يُفْلح الكاذب حيث أتى.

فألهمني ربي طريقا آخر ليهلك من كان من الهالكين، وهو أني نظمت في هذه الأيام قصائد، وثقفتها في ثلاثة أيام أو أقل منها، والله عليه شاهد وهو خير الشاهدين. وزينتها بالنكات المهذبة، والاستعارات المستعذبة، ملتزما جدّ القول وجزله، وأيدني ربي وعلمني سبلها وإن كنت من الأميين. فالآن وجب على الشيخ المذكور أن يُناضلي في ذلك، وينظم قصيدة في تلك الأمور بعدة أبيات هذه القصائد وأساليب بلاغتها، فإن أتم شرطي فله ألف من الدراهم المروجة، إنعاماً مني عليه ولكل من ناضلي من العلماء المكفرين. ومع ذلك أوتيهم موثقاً من الله لأكتب لهم بعد غلبهم كتاباً فيه أُقرّ بأنهم العالمون الأدباء وإني من الجاهلين الكاذبين المفترين. ولكن لا يجب عليّ إيفاء هذا الشرط وأداء هذا الإنعام إلا بعد شهادة فرسان الصناعة وأرباب البراعة، وتصديق من كان جهبذ تنقيد الكلام من الأدباء الماهرين. وإن لم يفعلوا.. ولن يفعلوا.. فاعلموا أنهم من الكاذبين الجاهلين المفندين.

وهذا آخر الحَيْلِ لسببٍ قُلب ذلك الشيخ المضل، فإنه أهلك خَلقاً كثيراً بغوائله، فظلوا عُمياً وعُوراً وكانوا على علمه متكئين. وأرجو بعد

ذلك أن يُنجيهم الله من شره وهو خير المنجين. والآن أكتب قصيدتي،  
وما توفيقني إلا بالله الذي هو ربي وناصري، ومعلمي في كل حين.

## القصيدة الأولى في نعت الرسول ﷺ

عين الهدى مُفني العدا	يا قلبي اذكر أحمدا
بحر العطايا والجدا	براً كريما محسنا
في كل وصفٍ حُمدا	بدر منير زاهرٌ
ب وحسنه يروي الصدى	إحسانه يصبي القلو
قد كذبوه تمردا	الظالمون بظلمهم
إنكاره لما بدا	والحق لا يسعُ الورى
فستندمنّ مُلّدا	اطلُبْ نظيرَ كماله
للنائمين مُسهدا	ما إن رأينا مثله
أحيا العلومَ تجددا	نور من الله الذي
والمقتدى والمجتدى	المصطفى والمجتي
في وَنله حين الندى	جُمعتْ مراييع الهدى
من جود هذا المقتدى	نسيّ الزمان رهامه
يُطفي هداه ويُخميذا	اليوم يسعى النكسُ أن
يوما وإن طال المدى	والله يبدي نوره
دِ قد عُصمت من الردى	يا قطرَ ساريةٍ وغا
ة بالفیوض وقَرَددا	رَبَّيتَ أشجارَ الأَسِرِّ

إنا وجدناك الملاذ  
 لا نتقي قوسَ الخطو  
 لا نتقي ثوب الرما  
 ونمُدُّ في أوقات آفا  
 كم من منازعة جرت  
 حتى انثنيْتُ مظقراً  
 يا أيها الناس اتقوا  
 آلامه ما تنقضي  
 والله إني ما ضللتُ  
 لكنني مُدُّ لم أزل  
 لله حمدٌ ثم حمدٌ  
 كادت تُعفيني ضلالاً  
 يا صاح إن الله قد  
 هو ليلة القدر التي  
 أتجول في حومات نفسك  
 هلا انتهجت محجة  
 يا من غدا للمؤمنين  
 اخترت لذة هذه  
 يا خاطب الدنيا الدنيّة  
 عاديت أهل ولاية

فبعد كهفٍ قد بدا  
 ب ولا نبالي مُرجدا  
 ن ولا نخاف تهذُّدا  
 تِ إلى المولى يدا  
 بيني وأقوام العدا  
 وموقراً ومؤيداً  
 يوما يشيبُ ثوهدا  
 وأسيره ما يُفتدى  
 ت وما عدلتُ عن الهدى  
 ممن إذا هُدِيَّ اهتدى  
 قد عرفنا المقتدى  
 ت فأدركني الهدى  
 أعطى لنا هذا جدا  
 تُعطي نعيماً مُخلدا  
 تاركاً سنن الهدى  
 الأحياء يا صيد الردى  
 أشدَّ بغضا كالعدا  
 ونسيت ما يُعطي غدا  
 ة قد هلكت تجلدا  
 وقفوت آثار العدا

اليوم تُكْفِرُنِي وَتَح  
 يَا مَنْ تَطْنَى الْمَاءَ  
 السَّبْرُ سَهْلٌ هَيِّنٌ  
 وَاللَّهُ لَوْ كُشِفَ الْغَطَا  
 وَنُظِمَتْ فِي سَلِكِ الرَّفَا  
 سَبْنِي شَقِيًّا مَلْحِدَا  
 مِنْ حَمَقِ سَرَابَا وَاعْتَدَى  
 إِنْ كَانَ فَهْمٌ أَوْ صَدَى  
 ءَ وَجَدْتَنِي عَيْنَ الْهُدَى  
 قَ وَجِئْتَنِي مُسْتَرَشِدَا

## القصيدة الثانية

أيا محسني أثنى عليك وأشكر  
بفضلك إنا قد غلبنا على العدا  
فتحت لنا فتحا مبينا تفضُّلاً  
قتلت خنازير النصارى بصارم  
بوجهك ما أنسى عطاياك بعده  
تلبّيك روحي دائماً كلّ ساعة  
وتعصمني في كل حرب ترخُّماً  
ينور ضوء الشمس وجه خلائق  
تحيط بكنه الكائنات وسرّها  
ونحن عبادك يا إلهي وملجأ  
نصرت لإفحام النصارى قريحتي  
وأخذتهم وكسرت دأياً مُنصّداً  
فسبحان من باري لنصرة دينه  
سقاني من الأسرار كأساً رويّةً  
غيورٌ يبيد المجرمين بسخطه  
وحيد فريد لا شريك لذاته  
له الملك والملكوت والمجد كله  
فدّى لك روحي أنت تُرسي ومأزُر  
بنصرك قد كُسِرَ الصليب المبطر  
بفوج إذا جاؤوا فزهق التنصّر  
وأردى عِدانا فضلك المتكبر  
وفي كل نادٍ نبأ فضلك أذكُر  
وإنك مهما تحشّر القلب يحضُر  
فدّى لك روحي أنت درعي ومغفّر  
ولكن جناني من سناك يُنور  
وتعلم ما هو مستبان ومضمّر  
نحرُّ أمامك خشيةً ونكبر  
وهدمت ما يُعلي الخصيم ويعمّر  
وأتممت وعدك في صليب يُكسّر  
وأخزي النصارى فضله المتكبر  
وإن كنت من قبل الهدى لا أعثر  
غفورٌ ينجي التائبين ويغفّر  
قويُّ عليّ مستعان مُقدّر  
وكلُّ له ما بان فينا ويظهر

مليكٌ فيزِعج ذِي<sup>٥</sup> شِقاقٍ ويحصِرُ  
 فيهلك من هو فاسق ومزور  
 وحيد فريد ما دناه التكثُرُ  
 سواه فقد نادى الردى ويُدَمَّرُ  
 فقال لك البشرى وأنت المظفَّرُ  
 وقصدتُ "عَنْبَرَسَر" وَقَطْرِي يَمْطُرُ  
 فتخيروا منهم خصيما وأنظُرُ  
 وكُلُُّ تسَلِّح صائلا لو يقدر  
 يصول على سبل الهدى ويزور  
 على الله فيما كان يهدي ويهجرُ  
 فسبحان ربّ العرش عمّا تصوروا  
 أب وابنه حقا وروح مطهَّرُ  
 وخالفنا الرب الوحيد الأكبر  
 من الأرض أو هو في السماء مدبِّرُ  
 وإلهنا حي ويبقى ويعمرُ  
 وحاشاه ما الأولاد شيئا يوقرُ  
 إله وتعلم أنه لا يقدرُ  
 وقال هو الشيخ الذي لا يُنكرُ  
 ومذهبه مثل النصارى تنصُرُ

ودودٌ يحبّ الطائعين ترحمًا  
 يحيط بكيد الكائدين بعلمه  
 ولم يتخذ ولدًا ولا كفؤً له  
 ومن قال إن له إلهًا قادرا  
 وبشرني قبل الجدال بلطفه  
 ففاضت دموع العين مني تذلا  
 فجئتُ النصارى في مقام جلوسهم  
 وظلّ النصارى ينصرون وكيلهم  
 رأيتُ مُبارزهم كذئب بظلمه  
 فخاصمَ ظلما في ابن مريم واجترا  
 وقال: له ولدٌ.. مسيخُ ابن مريم  
 وقال بأن الله اسم ثلاثة  
 فقلتُ له احسأ ليس عيسى بخالق  
 أثبتتُ في مُلك له من بريّة  
 وإن على معبودك الموت قد أتى  
 وليس لمستغنٍ إلى الابن حاجةٌ  
 أعيسى الذي لا يعلم الغيب ذرة  
 فأثنى على إبليس بالعلم والهدى  
 ويؤمن بالابن الوحيد تيقنًا

<sup>٥</sup> سهو، والصحيح: "ذا". (الناشر)

أثني على غولٍ يُضِلُّ ويُدخِر  
ولكنكم عُمِّي فكيف التبصّر  
وكان كدجالٍ يُداجي ويمكّر  
تقولُ خبثًا ذلك المنتصر  
ومسيحنا عبد وربُّ أكبر  
إله وعبد؟ ذاك شيء منكر  
ومن يؤمننَّ يُرشدَه عقل مطهر  
تقولون ما لا يفهم المتفكّر  
وما في يديكم من دليل ينور  
وإثباته مستنكر متعذر  
وقد جاء هدي بعد هدي ومنذر  
وحرفها قوم خبيث مُعير  
وهذا من الشيطانِ هديٍّ آخر  
وهيهات لا والله بل هو أحق  
نعم من عباد الله عبدٌ مُعزّر  
وأرسلني ربي مثيلاً فتنظّر  
فطوبى لمن يأتيه صدقا ويبصر  
أجزم حدودًا يا بني الغول فاحذروا  
فلا تهلكوا متجلدين وفكروا  
أتعبد ميتا أيها المنتصر؟

فقلتُ له يا أيها الضال من هوَى  
وما كان حامده بصيرٌ قبلكم  
فما تاب من هذيانه وضلاله  
وكم من خرافات وكم من مفاسدٍ  
وقال لي إن الله خلّق وخالقُ  
فقلتُ له يا تارك العقل والنهي  
إذا قلّ دين المرء قلّ قياسه  
وإني أرى في خبطِ عشواء عقولكم  
وإني أراكم في ظلام دائم  
وإن هو إلا بدعة غير ثابت  
تعرف في الصحف القديمة مثله  
أناجيل عيسى قد عفت آثارها  
نبذتم هدايته وراء ظهوركم  
أقمتم جلال الله في رُوح عاجزٍ  
فقير ضعيف كالعباد وميّت  
وإن شاء ربي يُبدِ ألقًا نظيره  
وقد اصطفاني مثل عيسى ابن مريم  
أنبيئنا ميّت وعيسى لم يمّت؟  
تُوفّي عيسى هكذا قال ربنا  
أتخذ العبد الضعيف مهيمنا؟

فلا تَتَّبِعْ يا صاحِ قوما حُسِرُوا  
ويدي لك الرحمن ما كنت تُضمِرُ  
يصول بوثنٍ أو تدبّ وتأبِرُ  
وقولي عميق لا يليه المصعِرُ  
وما يمدحُنْ حسناً ضريراً معذراً؟  
إذا ما تعالى شأنه المسترُ  
وإن كنت في شك فبارزْ فنحضرُ  
بأيدٍ وفي اليمنى حُسامٌ مشهَرُ  
إلى أن أبان الحقُّ والحقُّ أظهرُ  
فلا الظبي متروك ولا العَيْرُ يُنظرُ  
أشاشٌ لقلبي بل مرام أكبرُ  
يكافئ جيشَ القَدْرِ أو هو أكثرُ  
ولاحت براهيني كَنارٍ تزهَرُ  
نُصرتُ وأيدني قديرٌ مظفِرُ  
إلى مشربٍ صافٍ وماءٍ يُطهَرُ  
ووالله كان كذي ضلالٍ يزورُ  
وفي هذه سِرٌّ على العقل يعسرُ  
فحسبه ربا كما هو يُظهرُ  
وما جاء في الإنجيل ما أنت تذكرُ  
قديم فلا يفنى ولا يتغيرُ

ألا إنه عبد ضعيف كمثلنا  
ووالله يأتي وقت تصديق كلمتي  
فلا تسمعنْ من بعد ذنبا وعقربا  
مقامي رفيع فوق فكرٍ مفكِرُ  
إذا قلّ علم المرء قلّ اعتقاده  
ألا ربّ مجد قد يُرى مثل ذلّة  
ألم تعلمنْ أي جريٍّ مبارز  
وبارزتْ أحزاب النصارى كضيعم  
وما زلتُ أرميهم برمحٍ مُدزَّبِ  
وإنا إذا قمنا لصيدٍ أوأبِدِ  
وقتل خنازير البراري وخرشُهم  
وفي مُهجتي جيشٌ وأزعم أنه  
إذا ما تكلمنا وبارى مخاصمي  
فأوجس مبهوتا وأيقنتُ أنني  
وأدركتُهُ في حمئةٍ فدعوتهُ  
فردّ عليّ بباطلات من الهوى  
وقال لعيسى حصّةٌ في التألّه  
وإن ابن مريمٍ مظهرٌ لأب له  
فقلّتُ له هذا اختلاقٍ وفريّة  
وإن إلهك مات واللهُ سرمدٌ

وما لا يُحَدُّ فكيف حُدِّد كالورى  
 وليس تُقاس صفاته بصفاتنا  
 تعالتُ شئون الله عن مبلغ النهى  
 وإن عقيدتكم خيال باطل  
 وللخلق خلاقٌ فتدعون ذكره  
 ومن ذاق من طعم المنايا بقولكم  
 وقد نورَّ الفرقانُ حلقاً بنوره  
 ألا إنه قد جاء عند مفسدٍ  
 تُرى صورةُ الرحمن في خدرِ سُوره  
 تراءى لنا الحق المبين بقوله  
 قُلِ الآن هل في كتبكم مثل نوره  
 وإن كنتَ تزعم أن فيها دلائلا  
 وإن قلتَ آمناً بما لا نعقل  
 وسلِّ اليهودَ وسلِّ أكابر قومهم  
 ومهما يكن في كتبكم ذِكْرٌ عجزه  
 جِعازك خيطُ فاتقِ البئرَ والردى  
 أقلبك قلبُ أو صلايةً حرَّةً  
 أكلتَ حُشارةً كل قوم مُبطلٍ  
 أباريتَ يا مسكين ذا الرمح بالعصا  
 أترغب عن دين قويم منور

ووجه المهيمن من مجالي مُطَهَّر  
 ولا يدركه بصر ولا من يُبصر  
 فكيف يصوِّر كُنْهَه متفكِّر  
 وما في يديكم من دليل يوقر  
 وتدعون مخلوقا ولم تفكروا  
 فكيف كحى سرمدٍ يُتصوِّر  
 ولكنكم عُمي فكيف أُبصِر  
 إذا ما انتهى الليلاء فالصبح يجشُر  
 فهل من بصير بالتدبير ينظر  
 وآياته دُررٌ ومِسْكٌ أذفر  
 وفكِّر ولا تعجل ونحن نُذكِّر  
 فجهلك جهلٌ بين ليس يُستَر  
 فهذا الهدى عند النهى مستنكر  
 أسلِّمَ فيهم ابنك المتخَيَّر  
 وإن خِلتَه يخفى على الناس يظهر  
 أَللموت يا صيدَ الردى تتجعَّر  
 أجهلك جهل أو دخان مُعَبَّر  
 فتأكل ما أكلوا ولا تتحقَّر  
 وأنى أجارِدنا وأنى مُحَمَّر  
 وتتبع ديناً قد دَفاه التكدُّر

فَتَهْوِ نَحِيفًا فِي الْهَلَّاسِ وَتَخْطُرُ  
 وَفِي الْحَرْبِ نَارًا جَعَطْرِيٌّ مُتَعَجِّرُ  
 فَلَا نَرْجِعُنَّ عِنْدَ الْوَعَا وَنُجَمَّرُ  
 ففِي أَعْيُنِي مَا أَنْتَ إِلَّا جَوْدَرُ  
 إِلَامٌ تُحَامِي عَنْكَ سَهْمِي وَتَأْفِرُ  
 أَهَذَا هُدَى الْإِنْجِيلِ أَوْ تَسْتَأْتِرُ؟  
 وَأَيْنَ ثَبُوتٌ بَلْ حَدِيثٌ يُؤْتَرُ؟  
 كَشَخْصٍ مِعْرٍ عَاشِقٍ لَا يَصْبِرُ  
 وَسَيَعْلَمَنَّ كُلُّ إِذَا مَا بُعْثَرُوا  
 وَلَكِنَّهُ بَعْرٌ شَدِيدٌ مَدْمَرُ  
 وَمَنْ كَانَ مَحْجُوبًا فِيهْذِي وَيَهْجُرُ  
 وَمُخْضِرُنَا يَعْدُو وَلَا يَتَحَسَّرُ  
 فَأَنْتَ لَعُولُ النَّفْسِ عَبْدٌ مَسْحَرُ  
 فَنَفْسُكَ سَوْفَ تُحْجَرَنَّ وَتُحَوَّرُ  
 لَكَ الْبُهْرُ فِي الدَّارَيْنِ وَالنُّورُ يَبْهَرُ  
 وَيَهْتِكُ رَبِّي كُلَّ مَا هُوَ تَسْتُرُ  
 وَهَذَا وَبَالَ أَنْتَ فِيهِ مَتَبَّرُ  
 وَأَسْرُكُمْ سَيْقُطُ اللَّوَى وَحَبْوَكُرُ  
 وَيَضْحَكُ جَمْهُورٌ عَلَيْهِ وَيُنْكَرُ  
 وَإِجَارُ بَيْتٍ مِنْ بَعِيدٍ يَظْهَرُ

وإن لم تداور جُشْرَةَ الْبَخْلِ وَالهُوَى  
 وَإِنِّي كَمَا عِنْدَ سِلْمٍ وَحُلَّةٍ  
 إِذَا مَا نَصَبْنَا فِي مَوَاطِنَ خَيْمَةٍ  
 وَلَوْ ابْتَهَرْتَ وَقَلْتَ إِنِّي ضَيْغَمُ  
 أَلَا أَيُّهَا الصَّيْدُ الرِّكِيكَ الْأَعْوَرُ  
 أَعَيْسَى الَّذِي مَاتَ رَبُّ وَخَالِقُ؟  
 أَعَيْسَى إِلَهٌ أَيُّهَا الْعَمِيُّ مِنْ هَوَى  
 ظَنَنْتُمْ فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ ظُنُونَكُمْ  
 تَرَكْتُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ شُحًّا وَخِسَّةً  
 عَسَى أَنْ يَزِيلَ اللَّهُ شُحَّ نَفُوسِكُمْ  
 وَمَنْ كَانَ ذَا حِجْرٍ فَيَدْرِي حَقِيقَةً  
 سَتَغْلِبُ يَا يَحْمُورَ قَوْمٍ مَحْقَرٍ  
 قَدْ اسْتَخَمَرَ الشَّيْطَانُ نَفْسَكَ كُلَّهَا  
 أَلَا إِنْ رَبِّي قَدْ رَأَى مَا صَنَعْتَهُ  
 أَتَطْفِئُ نُورًا قَدْ أُرِيدَ ظَهْوُهَا  
 وَإِنِّي أَرَى قَدْ بَارَكَ كَيْدُكَ كُلَّهُ  
 أَتَرَكَ أَعْنََابًا وَتَنْقِيفَ حَنْظَلًا  
 تَيَاهِيرُ قَفْرٍ فِي عَيْوَنِكَ مَرْبَعُ  
 عَقِيدَتِكُمْ قَدْ صَارَ لِلنَّاسِ ضُحْكَةً  
 رَأَى النَّاسُ بِالتَّحْقِيقِ مَا فِي بَيْوتِكُمْ

وهدهاء جَمَجَمَةٌ وَقَوْلٌ مُكْوَرٌ  
ولكن إلى الإلحاد والشكِّ يُدَحِرُ  
ويهدُّ بيت نجاتكم ويدمِّرُ  
أَللَّهِ زَوْجُ أَيُّهَا الْمْتَمَدِّرُ؟  
وحيدٌ فريدٌ قادرٌ متكبر  
إذا ما تبعته هُدهاء فالله يؤثِّرُ  
ويأخذ قلبك حُبِّ حَبِّ وَيَأْطِرُ  
وكمثل هذا النور ما بَانَ نَيْرٌ  
فَدَعَّ ما يقول الكافر المنتصر  
وإن رسول الله بدرٌ منور  
وَمِنْ ذَكَرَهُ الْأَحْلَى كَأَنِّي مُتَمِرٌ  
وَقَلِيدٌ رَسُولُ اللَّهِ تَنْجُ وَتُعْفِرُ  
وَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ فَيُنْبِرُ  
فَقَدْ رُدَّ مَلْعُونًا وَسَوْفَ يُمَدَّرُ  
فذلکم الشيطان یعنو ویسْعَرُ  
ألا إن حزب الله يعلو ويُنصر  
وتالله إن نبينا مُتَبَقِّرُ  
له مَلَّةٌ بِيضَاءُ لا تَتَغَيَّرُ  
وسنة خيرِ الرسل خيرٌ وأزهر  
ولو للصدّاقة مثل بكرٍ تُنْهَرُ

ولا يُظْهِرَنَّ إِنْجِيلَكُمْ نَحْجَ الْهُدَى  
وَمَنْ تَبِعَهُ ما وجد رِيحَ تَيْقُنٍ  
وما فيه إلا ما يُضِلُّ قلوبكم  
ومن أين طفل للذي هو أَطْهَرُ  
ولكننا لا نعرف الله هكذا  
وذلك للدين القويم كرامة  
وَيَسْغِفُكَ اللهُ الْعَزِيزُ مَحَبَّةً  
فطوبى لمن صافى صراطَ محمد  
وصلنا إلى المولى بهدي نبينا  
وفي كل أقوامٍ ظلامٌ مدمِّرٌ  
وإن رسول الله مُهْجَةٌ مُهْجَتِي  
فَدَعَّ كُلَّ مَلْفُوظٍ بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ  
وليس طريق الهدى إلا اتباعه  
وَمَنْ رَدَّ مِنْ قِلِّ الْحَيَاءِ كَلَامَهُ  
ومن يَرَّ تَقْوَى غَيْرَ هُدَى رَسُولِنَا  
وما نحن إلا حزب ربِّ غالبٍ  
ووالله إن كتابنا بحرُ الهدى  
ويبقى إلى يوم القيامة دينه  
ونؤثِّرُ فِي الدَّارَيْنِ سَنَنَ رَسُولِنَا  
فلما عرفت الحق دَعَّ ذَكَرَ باطلٍ

ويعلم ربي ما تُسِرُّ وتُخْمِرُ  
 وثابِرٌ على الحق الذي هو أظهر  
 فلا تهلِكوا بعِيًّا وتوبوا واحذروا  
 وكمثل هذا الخَلْقِ في الدُودِ تنظُرُ  
 ويخلق ربي ما يشاء ويقدر  
 تَكُونُ في ليل وتنمو وتكثر  
 ففكِّرْ هداك الله هادٍ أكبر  
 فبارزْ لنا إنا إلى الحرب نَعَكِرُ  
 فتنظر أَنَّا نغلبُ ونُنصِرُ  
 ولو مُرِّقَتْ ذراتُ جسمي وأكسِرُ  
 ووالله إني فائزٌ ومُعزَّرُ  
**إمام الأنام المصطفى المتخير**  
 تَكْدُّ وتستقري المحالَ ونَقْجُرُ  
 محرِّفَةٌ في كل عام تُغَيِّرُ  
 وقد قلتُ تحقيقا ولو أنت تَبَسِّرُ  
 يوسوسكم في كل حين ويمكُرُ  
 ولأخرياتِ الناسِ نحنُ نذَكِّرُ  
 ولا يستوي دخنٌ ونجمٌ أزهرُ  
 يدقُّ أجزاء الصليب ويكسِرُ  
 وكلَّ امرئٍ عن قوله يُستفسرُ

ألا أيها الثرثار حَفَّ قَهَرَ قاهر  
 فلا تَقْفُ ما لا تعرفنَّ وُجوهه  
 ووالله ما كان ابن مريم خالقا  
 ولا تعجبنَّ من أنه ليس من أبٍ  
 بل الدود أعجبُ خِلقةً من مسيحكم  
 ألا رَبُّ دُودٍ قد ترى في مربعٍ  
 وليست لها أُمٌّ بأرض ولا أبٌ  
 وإن كنتَ لا تَدَعُ الجدالَ وتُنكِرُ  
 وإن لنا المولى ولا مولى لكم  
 ووالله إني أكسِرُنَّ صليكم  
 ووالله يأتي وقتٌ فتحي ونصرتي  
 ووالله يُثني في البلاد إمامنا  
 وما في يدك بغير قولٍ مدلسٍ  
 وكُتِبُكَ فَفَرَّ حشوها الكفرُ والردى  
 فتلك براهينٌ على سَخَفِ دينكم  
 لقد زَيَّنَ الشيطانُ أقواله لكم  
 وقد ذَكَرَ الأخيارُ من قبلُ قومكم  
 وكيف يساوي دينُ عيسى لدينا  
 وقد جاء يومَ الله فاليومَ رُبُّنا  
 وقلتُ له لا تحسبِ العبدَ خالقا

وقلتُ له لا تسئِّر الحقَّ عامدا  
 وقلتُ له لما أبى إن شأنا  
 وإن كنتَ لم تسمع فزِدْ في تجاسرِ  
 فزِدْ في جِراءاتِ وزِدْ في تقاعُسِ  
 وليس عذاب الله عَذبا كما ترى  
 غيور فيأخذ مشركا بذنوبه  
 رفيعٌ عليّ كيف يُدركُ كنههُ  
 أتَعْصون بعِيًّا مَنْ به الخَلْقُ آمنوا  
 وكيف يكون العبدُ كائِنَ لربِّه  
 وقد مات عيسى ليس حيًّا وإننا  
 وأخبرني ربي بموت مسيحيكم  
 وكم من دوابِّ الأرض يجيا مدّة  
 وإن جنود الأنبياء وحزبهم  
 فإن كان للرحمن ولدٌ كقولكم  
 أبْدِلْ سنّة ربّنا بعد مدّة؟  
 وقانون سنن الله في بعث رسله  
 وإن لم تر اليوم الهدى فترى غدا  
 أتخلع جهلا رِبْقَةَ العقل والنهي  
 أتترك ما جاءت به الرسل من هدى  
 عليكم بسبل الله من قبل ساعةٍ

سيدي المهيمُ كلّ ما كنتَ تسئِّر  
 بلاغٌ فبلّغنا وإنك مُنذر  
 لئُسْعِرَ نار الله ثم تُدمّر  
 وزِدْ في عمايات فتفنى وتُبتر  
 سيُحرق في نار اللظى مَنْ يفجر  
 وليس له أحدٌ شفيعا ومأزر  
 إذا ما ترقّت عيننا تتحير  
 أتسنون يوما ما به الناس أنذروا  
 فسبحان ربِّ العرش عما تصوروا  
 نردّ على من قال حيّ ونَحْجُر  
 وكان هو الأولى وأكفى وأجدر  
 على ظهرها فأعجب لهذا وفكروا  
 ألوفٌ فهل تزيّن كابنك آخر  
 فشجرة نسل الله تنمو وتكثر  
 أيمن في سنن القديم تغير؟  
 مبين فهل أبصرت أو لا تُبصر؟  
 ظلّاما مهيبا فيه تهوي وتُنذر  
 لأقوال قوم قد أضلّوا ودُمّروا  
 ألا تتبّعن قوما هُودوا وتبقرّوا  
 تُريكم لظى النار التي هي تُسعّر

وإن ينصجن جلد فيخلق آخر  
ويدي لك النور الذي اليوم تُنكر  
وإن عذاب الله أدهى وأكبر  
نرى بعينكم ودموعنا تتحدرو  
ولكل ما يأتيك وقت مقدرو  
وها أنا قبل عذاب ربي أخبر  
فأنتم قبلتم كل ما هم زوروا  
وثرث خطاياكم فلم تستغفروا  
ولتقبلوا ما قال ربي وثغفروا  
فيعطك من عينٍ وعينٍ تُنور  
تعال على قدم الضلال فتزهر  
وذلكم الشيطان يُغوي ويحصر  
وأزعجت أصل أصولكم ثم تُنكر  
وهذا فساد ظاهر ليس يُستر  
كما بالعيون يشاهدن ويصبر  
وكصق أيدٍ منهما العلم يظهر  
فبارز لحرب الله إن كنت تقدر  
تشمر ذيلك للحطام وتهجر  
وإن كلام الله لا تغير  
إذا ما انقضت فاعلم بأنك مُحصر

عذاب أليم لا انتهاء لحرقه  
ينبئك العلام ما كنت تُضمِر  
ألا أيها الناس اتقوا الله ربكم  
ألم يأتكم نُذُرٌ وآيات ربكم  
ولكل نبياً مستقرٌ ومظهر  
ويحكم رب العرش بيني وبينكم  
وقوم مضوا من قبل ضالين من هوى  
أخذتم طريق الشرك والفسق والردى  
فأرسلني ربي إليكم لتتهتدوا  
فإن شئت ماء الله فاقصد منا هلي  
وأغلظ حجج ما تُراك على الهدى  
وفيك فساد لو علمت اجتنبتَه  
ذبت عن الدين الحنيفي شكوككم  
وقلتم: لنا دين بعيد من النهي  
وكل امرئ بالعقل يفهم أمره  
وعقل الفتى نصف، ونصف حواسه  
تصدت في نصر الضلال تعمدا  
وما أنت إلا عابد الحرص والهوى  
رأيت لك الرؤيا وإنك ميّت  
وعدة وعد الله عشر وخمسة

وتعمى وتحضر عند ذي العرش مجرمًا  
 وما قلت من تلقاء نفسي تجاسرًا  
 فبلغت تبليغا وآليت حلفةً  
 فإن أك صديقًا فري يعزني  
 وأعلم أن مهمني لا يضيعني  
 فتوقد السفهاء من أهل الهوى  
 ذوو فطنة يدرون بحثي وبحته  
 وإن يسلمن يسلمن وإلا فميئت  
 ووالله هذا من إلهي ومن يعش  
 وتحت رداء الله رحي ومهجتي  
 ولست بري كاذبا تارك الهدى  
 وهنأني ربي بنهج محبة  
 وذلك من بركات روح رسولنا  
 رؤوف رحيم أمر مانع معًا  
 له درجات لا شريك له بها  
 تخيره الرحمن من بين خلقه  
 وكان جلالاً في عرابين وبله  
 رؤوف رحيم كهف أمم جميعها  
 ألا ما هرفنا في ثناء رسولنا  
 وإن أمان الله في سبل هديه

وتُسأل عما كنت تهدي وتكفر  
 بل الآن نبأني العليم المقدر  
 على صدق ما أظهرت فانظر ونظر  
 وإن أك كذاباً فسوف أحقر  
 وأعلم أن مؤيدي سوف ينصر  
 وكل امرئ عند الخصم يسبر  
 وما في السماء فسوف يبدو ويظهر  
 وهذان منا آيتان ونشكر  
 إلى أشهر مذكورة فسينظر  
 وما يعرفني أحد وربي يُبصر  
 ولست بري كالذي هو يهدر  
 على ما تضرع منك فتحي وعبر  
 نبئ له نور منير وأزهر  
 بشير نذير في الكروب مبشر  
 له فيض خير لا تضاهيه أبجر  
 دكاءً بجلوته وبدر منور  
 حقى الفأر من أنفاقهن الممطر  
 شفيع الوري سلى إذا ما أضجروا  
 له رتبة فيه المدائح تُحصر  
 فطوبى لشخص يقتفي ما يؤمر

فبنشوة الصهباء سُروا وأبشروا  
 وجهلاته مثل الأوابد ينفرو  
 وأيقظهم فاستيقظوا وتطهروا  
 وبدر منير لا يضاويه نير  
 وعلمهم سنن الهدى فتبصروا  
 شفيغ كريم مشفق ومحدّر  
 ومن أعرض عن أحكامه فيدمر  
 وأخلاقه العليا ولا يتأخر  
 ودع العصا لما تراءى المفقر  
 فطوبى لقوم طاوعوه وخيروا  
 إذا ما التقى الجمعان فانظر ونظر  
 منير فنور عالمًا وينور  
 ويسقي كؤوس معارف ويوفر  
 وفيه وجدنا ما بقي ويبصر  
 بناظرة من عين خلد ينظر  
 لما صانه الله القدير الموقر  
 أرى أنه دُرّ ومسك وعنبر  
 فهل في الندامى حاضر من يكرّر  
 نسيم الصبا من شأنه تتحير  
 يرى نوره يجري كعين ويمطر

سقى فيهبج العرفان كل مصاحب  
 وقد راح والمخلوق في ظلماته  
 فأكملهم قولاً وفعلاً وميسماً  
 رسول كريم ضعف الله شأنه  
 وكافح أمر المسلمين بنفسه  
 بأتمته أحقى من الأب بابنه  
 فمن جاءه طوعاً وصدقاً فقد نجا  
 ولم يتقدم مثله في كماله  
 فدع ذكر موسى واتركن ابن مريم  
 له رتبة في الأنبياء رفيعة  
 وعسكره في كل حرب مبارز  
 وجاء بقرآن مجيد مكمل  
 كتاب كريم حاز كل فضيلة  
 وفيه رأينا بينات من الهدى  
 كعين كحيل زينت صفحاته  
 طريّ طلاوته ولم تعف نقطة  
 فيا عجباً من حسنه وجماله  
 وإن سروري في إدارة كأسه  
 ورياه قد فاق الحدائق كلها  
 إذا ما تلا من آية طالب الهدى

وأشاهده في كل وقت وأنظر  
 وألهاه عن نور ظلام مكدّر  
 ويُعرض عنه الجاهل المتكبر  
 يداني رؤوس المنكرين ويكسر  
 فلن يعصم درع منه فوجا ومغفر  
 يبشّرنا في كل أمر وينذر  
 وهذت هراوهم وسرّوا وكسروا  
 وسوف تراهم مدبرين فنبشّر  
 فدّى لك روعي أنت وردّ منضّر  
 وأعطاك ربك هذه ثم كوثر  
 فكيف مُحْمَدُك الذي هو يُكفر  
 وما إن أراه كعافل يتدبر  
 وكالذئب يعوي حين يهذي ويهجر  
 كجلمودٍ صخرٍ جهله لا يُعير  
 فقلتُ لك الويلات إنك أكفر  
 عليّ حريص كالعدا لو يقدر  
 أشقوةُ هذا المرء أمرٌ مقدّر؟  
 يحرف قول المصطفى ويغير  
 على الرجس والبلوى فكيف أطهر  
 فآليتُ إن الله مَعنا فنظفر

وفيه من الله اللطيف عجائب  
 أيعجب من هذا سفية مشرّد  
 إلى قوله يرنو الحكيم تلذذا  
 كتاب جليل قد تعالى شأنه  
 هو السيف في أيدي رجالِ مواطن  
 كلام يُقلُّ المرهفات بحده  
 يُدِيَّةُ قومٍ مُنكِرٍ مغلولة  
 يباهون مِربِجَيْنَ جهلا ونخوة  
 فدّى لك روعي يا حبيبي وسيدي  
 وما أنت إلا نائب الله في الوري  
 ويعجز عن تحميد حسنك مؤمن  
 يكفّرني شيخ وتلوه أمة  
 يُري ظهره عند النضال كتعلب  
 غبي عتيّ أضرم الجهل غيظه  
 وكفّرني بالحق من غير مرّة  
 ويسعى لإيدائي ويسعى بزوره  
 عجبته له ما يتقي الله ذرة  
 فطوراً يردّ البيئات وتارة  
 قصدتُ هداه ترحمًا فتمايلا  
 وقال يمين الله ما لك ناصر

يسبُّ ويُيدي كلَّ ما كان يُضْمِرُ  
 فما قلَّ من أوهامه بل تكثُرُ  
 يرِدُّ النصوصَ كأنه لا يُبصرُ  
 نَوْوْمٌ فَيُبغِضُ كلَّ ما هو يُسهرُ  
 فيهجوون من جهل ولا يتخفَّرُ  
 شريرٌ فيستقري الشرور ويفخرُ  
 بجملاً وما يسقيه ماءً تفكُّرُ  
 كباقورة الأضحى بعيدٍ يُحخرُ  
 يوسوسه وقتا ووقتا يكوِّرُ  
 ووافقه خلقٌ ضريير مُدعَّرُ  
 فقلنا اخسئوا إن المهيمن أقدرُ  
 أيلعن مثلي مسلمٌ ويكفَّرُ؟  
 أيدعى بهذا الاسم شخص محفَّرُ  
 ويعلم ربي كل نفس وينظرُ  
 ويفعل ربي ما يشاء ويُظهرُ  
 حَفَّ اللهُ يا صيدَ الردى كيف تجسُرُ  
 فما لك لا تدري صلاحا وتفجُرُ  
 وقد كنتَ تشهد أن أحمدَ أطهرُ  
 وتعلم زارٍ وبعدهُ تتنمَّرُ  
 على ما تقول وفكرنَّ كيف تكفُرُ

ولما أريدُ علاجه من نصيحة  
 وجاهدتُ لله الكريمَ لهديه  
 عجبتُ لحتم الله كيف أضلَّهُ  
 خيالاته كالنائمين ضعيفة  
 وإنا نسهده وداذاً وشفقةً  
 له كُتِبَ السبُّ والشتمُ حشوها  
 يغوص كدلو عند خوض فيرجعُن  
 بعيد من التقوى فتسمع أنه  
 لقد زين الشيطان أقواله له  
 وأكفرتني بخلاً وجهلاً ودنأةً  
 يقولون إنا قادرون على الأذى  
 فيا علماء السوء ما العذرُ في غد؟  
 وما غيظكم إلا لعيسى واسمه  
 وما تعلمون شؤون ربي وفضله  
 أنعمة ربي في يديكم محاطة؟  
 أنحن نفرّ من النبي وبابه  
 أنترك قرآنا كريما ودُرره  
 اخترت رجسا بعد خمسين حجة؟  
 وتعلم أني حذريانٌ ومثقي  
 تبصّر خصيمي هل ترى من دلائل

أنحن تركنا قبلة الله شقوة؟  
 أنرغب عن دين النبي المصطفى؟  
 سيخزي المهيمن كاذبا تارك الهدى  
 "وإني أنا الرحمن ناصر حزبه" •  
 وما كان أن تُخفى الحقائق دائما  
 وليس خفاء مغلق في ديننا  
 سيكشف سر صدورنا وصدوركم  
 فمن كان يسعى اليوم في الدين مفسدا  
 وإنا على نور وأنتم على اللظى  
 ومن كان محجوبا فيأتي مؤسوس  
 وما يصطفي الله العليم مزورا  
 فذري وخلاقي ولست مصيطرا  
 وآثري ربي وأخزك خالقي  
 أليست تقاة الله شرطا لمؤمن  
 وعدوت حتى قلت: لست بأب  
 أنفتي بما لم ينزل الله من هدى؟  
 ووالله بل تالله لو كنت مخلصا  
 ولو قبل إكفاري سألت أمانة  
 ولكن ظننت ظنون سوء بعجلة

• ورد تحت هذا الشطر: "هذا إلهام من الله تعالى". (الناشر)

هل العلم شيء غير تعليم ربنا  
 كتاب كريم أحكمت آياته  
 يدعُ الشقيّ فلا يمسُ نكاته  
 ومتعني من فيضه لطف خالقي  
 كريم فيؤتي من يشاء علومه  
 وإني نظمت قصيدتي من فضله  
 تعال بميدان النضال شجاعةً  
 تريدون ذلتنا ونحن هوانكم  
 أتطلب مني آية الخزي والردى  
 وحمدتني من قبل ثم ذممتني  
 وإني أنا الخطار إن كنت طاعنا  
 وإنا جهرنا بقر دين محمد  
 متى نددُ منك ترحمًا تتباعدُ  
 وسيلك صعبٌ لكن أنت غثاؤه  
 وما إن أرى فيك التخوفَ والتقوى  
 ومن كذب الصديق هتاك سره  
 وإن تضررت على الصلاة زجاجةً  
 فهل في أناس مكفرين مدبر  
 ووالله إني آيس من صلاحهم  
 وقلتُ لشيخ قد تقدم ذكره

وأبي حديث بعده نتخير  
 وحياته يحيي القلوب ويُرهر  
 ويروي التقى هدى فينمو ويثمر  
 فإني رضيع كتابه ومُحفر  
 قدير فكيف تكذبت وهكر  
 لتعلم فضل الله كيف يُخبر  
 ليظهر علمك في الجدل وتُسبر  
 فيكرم ربي من يشاء وينصر  
 ويأتيك أمر الله فجأ فتبتر  
 فقد لاح أنك حينئذ مزور  
 رماحي مثقفة وسيفي مُذكر  
 وأنت تسب هوى وفي السب تجهر  
 ونريد حل العقد رُحمًا فتحتُر  
 وغيثك حمز لكن أنت تُدعثر  
 وإن الفتى يخشى إذا ما يُدعُر  
 ومن أكثر التكفير يوما سيكفر  
 فلا الصخر بل إن الزجاجة تُكسر  
 يدبر في قولي وفي الكتب ينظر  
 وما إن أرى شخصا يكف ويحذر  
 إلام تكفّرنا وتهجو وتصعُر

تعال نباهله في مقام معين  
 حلفت يمينا من لعان مؤكّد  
 فإذا أتى بعد التردد يومنا  
 خرجنا وخلق كان يسعى وراءنا  
 فجاء ولكن لم يباهل مخافةً  
 ولم يتمالك أن يباهل كالفتي  
 وجاشت إليه النفس خوفاً وخشية  
 ووجدته بحرًا وموحس خيفةً  
 فقلت له لما أبي إن حجتي  
 وإن شئت سل من كان فينا حاضرًا  
 وباهلني من عزويين مكفرًا  
 فقلت بصحي للدعاء مباحلا  
 فصعد صرخ الصادقين إلى السما  
 فأعجب خلقًا جيشهم وبكاؤهم  
 وظلّ المباحل يقدفن مكفرًا  
 وما الكفر إلا ما يسميه ربنا  
 وإنا توكلنا على الله ربنا  
 وآخر دعوانا أن الحمد كله

ليهلك من هو كاذب ومزور  
 فإني بميدان اللعان سأحضر  
 فقلت ولم أكسل وما كنت أقصر  
 لينظر كيف يباهلن ويكفر  
 وأعرض حتى لام من هو يبصر  
 وظل يربنا ظهر جنب ويدبر  
 وقد خفت أن يعشى عليه ويخطر  
 كأن حسامي يهجمن ويبتر  
 لقد تم والله العليم سيأمر  
 وما قلت إلا ما هو المتقرر  
 وقولا لدى شجرات أرض يشجر  
 وكان معي ربي يراني وينظر  
 لما أخذهم رقة وتأثر  
 فبكوا بمبكاهم وقام المحشر  
 فيا عجبًا من دينهم كيف كفروا  
 فذرهم يسبوا كيف شاءوا ويكفروا  
 وقد شدّ أزر العبد رب مبشر  
 لرب يرى حالي وقالي وينصر

## القصيدة الثالثة

### المباركة الطيبة في نعت رسول الله ﷺ

بك الحولُ يا قيومُ يا منبع الهدى  
 تتوب على عبد يتوب تندمًا  
 كبير المعاصي عند عفوك تافه  
 تحيط بكنه الكائنات وسرّها  
 ونحن عبادك يا إلهي وملجئي  
 وما كان أن يخفى عليك مُحاسننا  
 وكم من دهيّ أهلكتهم من شرورهم  
 وكم من حقير في عيون جعلتهم  
 وتعمّر أطلالا بفضل ورحمة  
 وما كان مثلك قدرةً وترحمًا  
 فسبحان من خلق الخلائق كلها  
 غيورٌ يُبيد المجرمين بسخطه  
 فلا تأمنن من سخطه عند رحمه  
 وإن شاء يبلو بالشدائد خلقه  
 وحيدٌ فريد لا شريك لذاته  
 ومن جاءه طوعا وصدقا فقد نجا  
 فوفّق لي أن أثني عليك وأحمدا  
 وتنجي غريقًا في الضلالة مُفسدا  
 فما لك في عبدٍ أمّ تردّدا  
 وتعلم منهاج السّوى ومُحرّدا  
 نخرَ أمامك خشيةً وتعبدًا  
 وتعلم ألوان النحاس وعَسجدا  
 وأخذتهم وكسرت دأيا مُنصّدا  
 بأعين خلقٍ لؤلؤا وزبرجدا  
 وهتدّ من قهرٍ منيفًا مُمرّدا  
 ومثلك ربي ما أرى متفردا  
 وجعل كشيء واحد متبددا  
 غفور ينجي التائبين من الردى  
 ولا تيسسن من رُحمه إن تشدّدا  
 وإن شاء يُعطيهم طريقًا ومُتلدًا  
 قويّ عليّ في الكمال توحدًا  
 وأدخَلَ وردًا بعد ما كان مُلبّدا

وكلُّ له ما لاح أو راح أو غدا  
 سواه فقد تبع الضلالة واعتدى  
 وأرسل رسلا بعد رسل وأكّدا  
 وما لي سواك معاونٌ يدفع العدا  
 وقد مسّنا ضُرٌّ وجئناك للندى  
 ولا سيّما عبدٌ تسمّيه أحمداص  
 وفاقَ قلوب العالمين تعبُدا  
 وأصاب وأبله تِلاعًا وجدّجدا  
 وعرفانُ إبراهيمَ دينًا ومَرصدا  
 شفيح الورى أحيا وأدنى المبعّدا  
 يُباهون مَرّيجين في سبل الردى  
 أصرّ بشقوته على ما تعوّدا  
 غيورٌ فأحرق كلّ دَيرٍ وجلسدا  
 كتاب كريم يرفد المسترفدا  
 فيعطى له في حضرة القدس سؤودا  
 ودع كلّ متبوع بهذا المقتدى  
 ومن جاءه صدقا فنوره الهدى  
 ولوّح وجه المنكرين وسوّدا  
 ولاح علينا وجهه الطلق سرمدا  
 وكافٍ لنا هذا المتاع تزوُدا

له الملك والملكوت والمجد كله  
 ومن قال إن له إلها قادرا  
 هدى العالمين وأنزل الكتب رحمةً  
 وأنت إلهي مأمني ومفازتي  
 عليك توكلنا وأنت ملاذنا  
 ولك آيات في عباد حمدتهم  
 له في عبادة ربه غلّي مرجلٍ  
 ومن وجهه جلّى بعيدًا وأقربنا  
 له آيتنا موسى وروح ابنِ مريم  
 وكان الحجاز وما سواه كميّتٍ  
 وكان مكاوحةً وفسق شعارهم  
 فلم يبق منهم كافر إلا الذي  
 شريعته الغراء مؤرّ معبّد  
 وأتى بصحف الله لا شك أنّها  
 فمن جاءه ذلا لتعظيم شأنه  
 فيا طالب العرفان حُذ ذيلَ شرعه  
 يزكي قلوب الناس من كل ظلمة  
 ولما تجلّى نوره التام للورى  
 تراءى جمال الحق كالشمس في الضحى  
 وقد اصطفتيت بمهجتى ذكر حمده

فأصبحتُ من فيضان أحمد ص أحمد  
وما كان من أطفاه مستبعدا  
ويعلم ربي أنه كان مرشدا  
سُلالة أنوار الكريم محمد ص  
شفيع البرايا منبع الفضل والهدى  
بتلك الصفات الصالحات بأحدا  
حكيم بحكمته الجليلة يُقتدى  
ونور أفكار العقول وأيدا  
دُكاء منير بُرجه كان بُرُجدا  
شفيع يزكينا ويديني المبعدا  
وفاق جميعا رحمةً وتوددا  
وأعطاه ما لم يُعطَ أحد من الندى  
فصار به نوراً منيرا وأغيدا  
إلى حزب قوم كان لُدًّا ومفسدا  
وكلُّ تلا بغيا إذا راح أو غدا  
بلاذ ترى فيها صفيحا مُصمدا  
تُرى كالظلم ثراه أزعر أريدا  
جماعة قوم كان لُدًّا ومفسدا  
ونجّاه عونُ الله من صولة العدا  
ففاضت دموع العين مني بمنتدى

وفوّضني ربي إلى فيض نوره  
وهذا من الله الكريم المحسن  
ووالله هذا كله من محمد ص  
وفي مُهَجتي فورٌ وجيشٌ لأمدحا  
كريم السجايا أكملُ العلم والنهى  
تبصّر خصيمي هل ترى من مشاكه  
بشير نذير أمرٌ مانع معًا  
هدى الهائمين إلى صراطٍ مقوم  
له طلعةٌ يجلو الظلام شعاعها  
له درجات ليس فيها مشارِك  
وما هو إلا نائب الله في الورى  
تخيّره الرحمن من بين خلقه  
وقد كان وجه الأرض وجهًا مسودا  
وأرسله الباري بآيات فضله  
وملِكٍ تأبّط كلَّ شرِّ قومه  
بلُوبَةِ مكة ذاتِ حِفِّ عَقَنَقْلِ  
وما كان فيها من زروع ودوحة  
تكنّف عَقْوَةَ داره ذات ليلة  
فأدركه تأييدُ ربِّ مهيمن  
تذكرتُ يوما فيه أُخرَجَ سيدي

إلى الآن أنوارٌ بِرُقَّةٍ يثرب  
 فوجهُ المدينة صار منه منورًا  
 حِفَايَ جناني نُورًا من ضيائه  
 وأرسلني ربي لتأييد دينه  
 له صُحْبَةٌ كانوا مجانينَ حِبِّهِ  
 وأزوا نشاطا عند كل مصيبة  
 وإذا مُرِّيْنَا أَهَابَ بغنمه  
 وكان وصال الحق في تياتهم  
 ورأوا حياة نفوسهم في موتهم  
 وجاشت إليهم من كربِ نفوسهم  
 فظلوا ينادون المنايا بصدقهم  
 وفاضت لتطهير الأناس دماؤهم  
 وأحيوا لياليم مخافة ربهم  
 تنَاهَوْا عن الأهواء خوفا وخشية  
 تلقوا علوما من كتاب مقدس  
 كنوقِ كرائمِ ذاتِ حُصْلِ تجلِّدوا  
 أتعرف قوما كان ميتًا كمثلهم  
 فأيقظهم هذا النبي فأصبحوا  
 وجاءوا ونورٌ من وراءِ يسوقهم  
 ولو كُشف باطنهم نرى في قلوبهم  
 نشاهد فيها كل يوم تجلُّدا  
 وبارك حُرَّ الرملِ وَطِيقًا وَقَرَدًا  
 فأصيحْتُ ذا فهم سليم وذا الهدى  
 فجئتُ لهذا القرن عبدا مجددا  
 وجعلوا ثرى قدميه للعين إثمدا  
 كعُجَاجٍ مِرْقَالٍ تُورِي تَجْدُدا  
 فراعُوا إلى صوت المهيب تودُّدا  
 وخطراتهم فلأجله مدُّوا اليدا  
 فجاءوا بميدان القتال تجلُّدا  
 وأنذرهم قوم شقيِّ تَهْدُدا  
 وما كان منهم من أبي أو ترددا  
 من الصدق حتى أثار الخلق مَرَصدا  
 وأذابهم يومٌ يُشَيِّبُ ثوهدا  
 وباتوا لمولاهم قياما وسجدا  
 حكيم فصافهم كريم ذو الندى  
 وتربَّعوا كلاءَ الأسيِّرةِ أغيِدا  
 نُورًا كأموات جهولا يَنَلْدُدا  
 منيرين محسودين في العلم والهدى  
 إليه ونورٌ من أمامٍ مُقَوِّدا  
 يقينًا كطبقات السماء مُنصِّدا

وزكى بروح منه فضلاً وأيدا  
 بعلم وإيمان ونور وبالهدى  
 فدئ لك روحي يا محمد ص سرمد  
 فأحرقت بدعاتٍ وقومتَ مرصدا  
 فواها لمُنَجِّ خَلَصَ الخَلْقَ مِن رَدَى  
 ومثلك رجلا ما سمعنا تعبدا  
 وما ضاعت الدنيا إذا الدين شيدا  
 لكي تُنقذ الإسلام من فتن العدا  
 فيا ليت لي كانت بلادك مولدا  
 وكيف يُكفِّرُ من يوالي محمدا  
 أضلّ كثيرا بالشور وبعدا  
 وقد وعد جزما ثم نكث تعمدا  
 كأخذك من عادى وليا وشددا  
 تباعد من حق صريح وأبعدا  
 وكان رضى الباري أهم وأوكدا  
 وفي الله عاديناه إذ حال مرصدا  
 أيلعن من أحيا صلاحا وجددا  
 أهذا مقال يجعل البرّ ملجدا؟  
 فإن كان فأتوني بتلك تجلدا  
 وقد ضل سعيًا من قلبي دين أحمد

تداركهم لطفُ الإله تفضلا  
 ففارقوا بفضل الله خَلَقَ زمانهم  
 وهذا من النور الذي هو أحمد ص  
 أمرت من الله الذي كان مرشدا  
 وجئت لتنجية الأنام من الهوى  
 وتورمت قدماك لله قائما  
 جذبت إلى الدين القويم بقوة  
 وأرسلك الباري بآيات فضله  
 يحب جناني كل أرض وطئتها  
 وأكفرني قومي فجئتك لاهقا  
 عجبث لشيخ في البطالة مفسد  
 سلوه يمينا هل أتاني مابها  
 فخذ يا إلهي مثل هذا المكذب  
 أضلّ كثيرا من صراط منور  
 قد اختار من جهل رضاء خلاتي  
 وما كان لي بغض وربّي شاهد  
 يسب وما أدري على ما يسبني  
 نعم نشهدن أن ابن مريم ميث  
 وهل من دلائل عندكم تُؤثرونها  
 أنحن نخالف سبل دين نبينا؟

بيوم يسود وجه من كان مفسدا  
 فيحرق في يوم النشور مُرَوِّدا  
 أتحشون لومة حَيِّكم ومُفَنِّدا  
 فحُصَّتْ بإذن الله ثوبًا مُقَدِّدا  
 ووطأت ذوقًا أَمْعَزًا متوقِّدا  
 عليم رأني مستهما فأيِّدا  
 وأيِّدني ربي وما ضاعني سُدى  
 وما كان هَجَسٌ بل سمعتُ مُنَدِّدا  
 مخافة قوم لا يريدون مَرَصِدا  
 وربِّي يرى هذا الجنان المجرِّدا  
 يلاحظها من زاده الله في الهدى  
 يُكفِّرُ مَنْ جاء الأنامَ مجدِّدا  
 ومثلك جهلاً ما رأيتُ ضَفَنِّدا  
 ودافئ رؤوس الصائلين وأرجدا  
 ويبدو لكم آياتنا اليوم أو غدا  
 لما كان لي حولٌ لأمدح أحمداص  
 حريص على سيِّ وألوى كالعدا  
 وكم من تكاليف سئمتُ تودُّدا  
 وهولٍ كليل السَّلخ يُيدي تَهْدُّدا  
 وخوفٍ كأصوات الصراصر قد بدا

سيُكشَفُ سرُّ صدورنا وصدوركم  
 فمن كان يسعى اليوم في الأرض مفسدا  
 أليس تقاةُ الله فيكم كذرة؟  
 وقد كان ربي قدَّر الأمرَ رحمةً  
 رأيتُ تغِيْظكم فلم آل حجةً  
 ولستُ بذلي علم ولكن أعانني  
 ووالله إني صادق غيرُ مفترٍ  
 وما قلتُ إلا ما أمرتُ بوحيه  
 أأنتُم حقًا كالمداجي المخامر  
 تعالى مقامي فاختمني من عيونهم  
 وفي الدين أسرار وسبيلٌ خفية  
 وهذا على الإسلام أدهى مصائبٍ  
 أتُكفِّرُ رجلاً قد أثار صلاحه؟  
 أتُكفِّرُ رجلاً أيَّد الدينَ حجةً  
 أنحن نفرّ من الرسول ودينه؟  
 ووالله لولا حُبُّ وجهِ محمدص  
 ففي ذلك آياتٌ لكلِّ مكذِّبٍ  
 وكم من مصائب للرسول أذوقها  
 وغمِّ يفوق ظلامَ ليلٍ مظلم  
 وضربٍ كضرب الفأس أصلتُ سيِّفه

فَأَسْأَلُكَ الْمَحَنَ مِنْ ذَوْقِ مُهْجَتِي  
وَمَوْتِي بِسَبِيلِ الْمُصْطَفَى خَيْرُ مَيِّتَةٍ  
سَادَخُلُ مِنْ عَشْقِي بِرَوْضَةِ قَبْرِهِ  
وَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَزِيدَ تَشَدُّدًا  
فَإِنْ فَزَعْتُهَا فَسَأُحْشَرَنَّ بِالْمَقْتَدَى  
وَمَا تَعْلَمُ هَذَا السِّرَّ يَا تَارِكَ الْهَدَى

## القصيدة الرابعة

ألا أيها الواشي إلام تكذب  
وآليت أني مسلم ثم تكفر  
ألا إني تبر وأنت مُذهَّب  
ألا إني في كل حرب غالب  
وبشّرني ربي وقال مبشّرًا  
ونعمني ربي فكيف أزدّه  
وسوف ترى أني صدوقٌ مؤيّد  
ويدي لك الرحمن أمري فينجلي  
يرى الله ما هو محتفٍ في قلوبنا  
ويعلم ربي من هو الشرّ منزلاً  
إلام ترى زوراً كصدقٍ ممحّضٍ  
وقاسمتهم أن الفتاوى صحيحة  
وهل لك من علمٍ ونصٍّ محكم  
كمثلك أممٌ قد أُبيدوا بذنبهم  
أُعدِف في حربي قناعاً دوننا  
وما البحث إلا ما علمت ودُقتّه  
وما في يديك بغير فلسٍ مُذهَّب

وَتُكْفِرُ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ وَتُؤَيِّبُ  
فَأَيْنَ الْحَيَا أَنْتَ أَمْرٌ أَوْ عَقْرَبُ؟  
أَلَا إِنِّي أَسَدٌ وَإِنَّكَ ثَعْلَبُ  
فَكَذَّبْتَنِي بِمَا زَوَّرْتَ وَالْحَقُّ يَغْلِبُ  
سَتَعْرِفُ يَوْمَ الْعِيدِ وَالْعِيدُ أَقْرَبُ  
وَهَذَا عَطَاءُ اللَّهِ وَالْخَلْقُ يَعْجَبُ  
وَلَسْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ مَا أَنْتَ تَحْسَبُ  
أَهَذَا ظَلَامٌ أَوْ مِنَ اللَّهِ كَوَكْبُ  
فَيُفْضَحُ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَيُكْذَّبُ  
وَمَنْ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ بَرٌّ مَقْرَبُ  
وَتَسْتَجَلِبُ الْحَمَقَى إِلَيْهِ وَتَجْدُبُ  
وَعَلَيْكَ وِزْرُ الْكُذْبِ إِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ  
عَلَى كَفْرِنَا أَوْ تَخْرِصَنَّ وَتَتَّعَبُ  
فَتَحْسَسَنَّ مِنْ نَبْعِهِمْ مَا أُعْقِبُوا  
وَتَتْرَكَ مَا أُمَّتَ جُبْنًا وَتَهْرَبُ  
وَتَلِكِ وَهَادًا لِلْمَنَايَا تُقَوِّبُ  
تُضِلُّ أَمِيمًا بِالسَّرَابِ وَتُخْلِبُ

وتلهو وتهذي كالسكارى وتلعب  
وتترك ما هو مستطاب وأطيب  
ورميت حقداً كل ما كنت تجعب  
وما كنت تدري أنك اليوم تغلب  
عروف على إيدائكم أتجيب  
وينظر ربي كل ما هو أكسب  
فثكرم عند مليكنا وتقرّب  
وقفوت ما لم تعلمن فتعتب  
ويوم نكال الله أخزى وأعطب  
فعليه ذلّة لعنة لا تنكّب  
وتنكث عهداً بعد عهد وتهرب  
فكفر وكذب إنني لست أغضب  
يهدّ عمارات الهوى ويخرّب  
فما حيص من ابن حسام يعضب  
أراك كأنك أرنب أو ثعلب  
ويصلح ربي ما تهّد وتشعب  
وأصدق رؤياً مؤمن لا يكذب  
فليرفب أوقاتها المترقب  
وإن كنت صديقا فسوف تُعدّب  
وكذبتني خطأ ولست نُصوب

وشاهدت أنك لست أهل معارف  
متى بُد أخلاقاً فتُبد ذميمة  
وعاديتني وطويت كشحا على الأذى  
وكنت تقول سأغلبن بحجتي  
ولست بعاذ مسرف بل إنني  
وإني أمام الله في كل ساعة  
فإن كنت عاديت الخبيث تدبنا  
وإن كنت قد جاوزت حد تورع  
فسوف ترى في هذه ضرب ذلّة  
ومن كان لآعين مؤمن متعمداً  
أتأمر بالتقوى وتفعل ضده  
ولي لك في أعشار قلبي لوعة  
ألا أيها الشيخ اتق الله الذي  
إذا ما توقد قهره يهلك الورى  
أتعوي كمثل الذئب والله إنني  
وما إن أرى في خيط كبدك قوة  
ألم تعرفن رؤياي كيف تحققت  
ويأتيك من آثار صدقي بكثرة  
فإن كنت كذاباً فأنت منعم  
أتكفربي في أمر عيسى تجاسراً

صريحًا فصدّقنا ولا نتريبُ  
وتصدق كلمته أهمُّ وأوجبُ  
وتلك التي كفرتَ منها وتنصّبُ  
لما ألهمني ملكٌ صدوقٌ مؤؤبُ  
ولو عند هذا القول بالسيف أُضربُ  
وهو فارسٌ حقًا وإني مُحقبُ  
وما جاء فيه هو الذي هو أصوبُ  
لآثرته دينًا ولا أتجنّبُ  
تناولَ من كأس المنايا فتعجبُ  
وكلٌّ من الفرقان يُعطى ويوهبُ  
فأين بحقدك يا مكفرّ تذهبُ  
عليمٌ فلا يخفى عليه مغيبُ  
فإن كنتَ ترغّب عن هدى لا نرغّبُ  
فإن أعصه فسناه من أين أطلبُ؟  
ونجدن في عيون ما نستعذبُ  
بها مُهجتني من هدي ربي فجربوا  
فإذا الجمال على سنا البرق يغلبُ  
عليّ حقائقه ففيها أُقلّبُ  
خفيرٌ إلى طرق السلامة يُجلّبُ  
كما هو أمرٌ ظاهرٌ ليس يُحجبُ

تُوفّي عيسى هكذا قال ربنا  
وكيف نكدّب آيةً هي قوله  
نهي خالقي أن نُحييَ ابنَ مريم  
ولم يبق لي في موته ريحُ ربية  
أقول ولا أخشى فإني مثيله  
ووالله إني جئتُ حين مجيئه  
وقد جاء في القرآن ذكرُ وفاته  
ولو كان في القرآن أمرٌ خلافه  
ولكن كتاب الله يشهد أنه  
أمن غير منبع هديه نطلب الهدى  
فنؤمن بالله الكريم وكُتبه  
ويعلم ربي كلّ ما في عييتي  
وهذا هدى الله الذي هو ربنا  
وإن سراجي قوله وكتابه  
وإن كتاب الله بحرٌ معارفٍ  
وكم من نكات مثل غيدٍ تمتعتُ  
إذا ما نظرتُ إلى ضياء جماله  
رأيتُ بنورِ نوره فتبيئتُ  
يصدّ عن الطغوى ويهدي إلى التقى  
يجرّ إلى العليا وجاء من العلى

كنجمٍ بعيدٍ نورها تتغيَّبُ  
 إلى مأمِنِ الفرقانِ لا يتذبذبُ  
 ويشفي الصدورِ سوادهُ ويهدِّبُ  
 فدَى لكِ رُوحِي أنتِ عيني ومشرَّبُ  
 ونَجِيَّتِهِمَ عما يعيِّي وَيَشغِبُ  
 فألهاهُ عن خوضِ سناه الموثَّبُ  
 فكأينَ ترى من سرِّه لكِ معجِبُ  
 وإن النهيَ بيانه يتهدَّبُ  
 ومَن أكثرَ الإمعانِ فيه فيشرَّبُ  
 فألى سناه التامِ يصبُ ويُسحبُ  
 ويرى اليقينَ التامَ والشكُّ يهزَّبُ  
 يَكُنْ سعيه لعنًا عليه فيعطِبُ  
 يُطعِ السعيرَ وفي الجحيمِ يُقلَّبُ  
 يجِدُه وما يُخطي فيهدي ويلعِبُ  
 تراه حثيثًا عينُ صادٍ فيشرَّبُ  
 فأين النهيَ لا تشرَّبَنَ وتُترَّبُ  
 ويريكِ من منا صدوقٍ وطيبُ  
 أولئك قومٌ من قلاهم فيُشجِبُ  
 أصانِعُ من يتلقَّ حُبًّا وأصحِبُ  
 عَروفٌ على إيدائكم أتجَبُّ

وسرُّ لطيفٍ في هداه ونكتةُ  
 ومن يأتيه يُقبَلُ ومن يُهدَّ قلبه  
 يُضيءُ القلوبَ ويدفعنَ ظلامها  
 فقلتُ له لما شربتُ زلاله  
 وكَم من عَمِيٍّ قد كَشَفَت غطاءهم  
 أَلَا رَبُّ خَصِمٍ خاضَ فيه عداوةً  
 وإن يفتَحنَ عينيكِ وهابُ الهدى  
 وأتَى لعقلِ الناسِ نورَ كنوره  
 وواللهُ يجري تحتَه نهرُ الهدى  
 ومن يمعنُ الأنظارَ في أفضالِه  
 ومن يطلبُ الخيراتِ فيه ينلنُه  
 ومن يطلبُنَّ سبيلَ الهدى في غيره  
 ومن يعصِرُ فرقانًا كريمًا فإنه  
 وما العقلُ إلا حَبَطُ عشواءٍ ما يُصبُ  
 ومهما تكُنَّ من عينِ ماءٍ باردٍ  
 وقد جئتُ بالماءِ المعينِ وعدَّبه  
 وسوف يريكِ اللهُ نورَ تطهُّري  
 حَفِ اللهُ عندَ الطعنِ في أوليائه  
 تعالِ وثبُ مما صنعتَ فإنني  
 ولستُ مُدَعِّثَرٌ من جفا بل إنني

وإذا تراميتم فسهمي مثقّب  
 وإذا تطاعنتم فرحني مُدْرَبُ  
 وإن يخفَ في غار عميق فيُتَعَبُ  
 وعليك سبل الرفق والرفقُ أَعَذَبُ  
 فسوف ترى يوماً إلى ما تُقَلِّبُ  
 وما ينفعنُ بعد الغزاة تَصِيبُ  
 من الله في أمري وأنت مكذِّبُ  
 فدع ما يلازمه عدوُّ محيِّبُ  
 أآليتَ جهلاً حلفه فُتْشَرِّبُ  
 فإن شاء ربي تُرْزَقَنَّ فتُحْظَبُ  
 لدى عينِ إحياءٍ تموت وتُتَعَبُ  
 فما لك تدري سمّ ذنبٍ وتُذنبُ  
 وإن غداة البين أدنى وأقربُ  
 فأبادهم ربُّ قديرٌ معذِّبُ  
 وما إن أرى عنك الغواية تُسَلِّبُ  
 وإني بفضل الله رجلٌ مهذِّبُ  
 فبنوره الأجلَى إلى الحق أنذِبُ  
 وتُدعِرنا من جورِ حَلْقٍ وتُرْعِبُ  
 يُزَلُّ الغلامُ الخنفرَ بكَرُّ هَوْرَبُ  
 على الأشقياء وكلّ أمر مرتّبُ

وفي السلم والإسلام إني سابقُ  
 وإذا تضاربتم فسيفي قاطعُ  
 وإن المزور لا ينجيه مكره  
 تذكّر نصيحة غزنويٍّ صالح  
 وكم من أمور الحق قلبت جراً  
 وإن كنتَ ذا علم فأرني كماله  
 وإني على علم وزدت بصيرةً  
 حَفِ اللهُ حَزْماً يا ابنَ مرءٍ أَحَبَّني  
 وما يمنعنك من رجوع وتوبة  
 وإن كنتَ ذا عسر وضمر مُعَيَّلاً  
 ووالله إن شقاك هيج لي البكا  
 ألا تعرفن قصص الذين تمرّدوا  
 أتدأمن بين الأقربين كباطرٍ  
 ومثلك جافٍ قد خلا ومكذِّبُ  
 سيسلب منك الضعف والشيب قوةً  
 فأكفر وكذب أيها الشيخ دائماً  
 وأهمني ربي وأعطى معارفاً  
 أتغفل من قهر الحسيب وأخذه  
 نجاتك من جذبات نفسك مشكلاً  
 إلى الله مرجعنا فيظهر حَبَّاناً

فسوف يُريهم ربنا ما كذبوا  
 فصبروا على ما كذبوا وترقبوا  
 أسفَّ وجوه قلوبهم ما قلبوا  
 وأمَّهم الشيخ السفيه المعجب  
 ويعتأمني ربي عليهم ويصحب  
 ولحرب أعداء الهدى أتأهب  
 وما تُبسل نفسٌ قبل وقت يُكتب  
 ويعلم ما ندعَن وما نحن نكسب  
 إذا اذاركوا لنضالمهم وتحزَّبوا  
 فمنهم كثعبان ومنهم عقرب  
 وفي الله ما نؤدَى ونُرمى ونُجذب  
 فإن لم ينلنا العزُّ فالذلُّ أطيب  
 وفي كل أوقاتي إلى الله أُجلب  
 ولغيره مني القلا والتجنُّب  
 وفي كل آن من هوى أتعرَّب  
 وعن كل ما هو غير ربي أرعب  
 ترى، إن تُشب، مني الهوى والتحبُّب  
 فأختار نهج العفو والقلب مغضب  
 وإني بالامي عذيقٌ مُرجَّب  
 ولكن أمام الله تعصي وتُذنب

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم  
 وقد كُذِّبت قبلي عبادة ذوو التقى  
 فلما نسوا فحواء ما ذكروا به  
 تحامون بالحق المدبر كلهم  
 وكيف أخاف عناد قوم مفند  
 فأبغي رضا ربي وما أخشى العدا  
 ولكل نبياً مستقرٌ معين  
 وإن هدى الله العليم هو الهدى  
 ويدري أناساً كفرونا وكذبوا  
 قلاني الورى حتى الأقارب كلهم  
 وما نتقي حراً بتلك الهواجر  
 وإني بحضرتة أموت بفضله  
 ألا كلَّ مجد قد طرحت كجيفة  
 وإليه أسعى من جنائي ومُهجتي  
 وإني أعيش بهذه كمسافر  
 وما لي إلى غير المهيمن رغبة  
 ألا أيها الشيخ الذي يتجنُّب  
 ولست براضٍ أن ألعن لأعنا  
 رأيتُ بساتين الهدى من تذلل  
 تسبَّ وإن أعدرك فيما تسبني

وأعطاني الرحمن ما كنتُ أطلبُ  
وتهدي كأنك بالهراوى تُضربُ  
ويُلاعجتك شأننا المترقبُ  
فلا القلب إلا جمرَةٌ تتهبُ  
تعاشيبُ أرضي حُلَّةٌ وتخبُّبُ  
أقولك قولُ أم سنانُ مُذربُ  
تندمُ فقد فات الذي كنتَ تطلبُ  
وما يعطينُ الربُّ أفأنتَ تسلبُ  
وما يتركنُ سيفٌ بالرفق يُجلبُ  
ووالله إن السلم أحلى وأعذبُ  
فله دواهي الدهر نِعْمُ المؤدبُ  
لكل من العلماء رأيٌ ومذهبُ  
فلا زلتُ في نعمائه أنقلبُ  
وبعد رسول الله بدرٌ وكوكبُ  
يُري وجهَ نور بعد نور يذهبُ  
نجوم السما تبدو إذا الشمس تغربُ  
وإن الفتى عند التجاسر يرهبُ  
وشوكُ الفيافي منه أشهى وأطيبُ  
ويُرخي المهيمن حبله ثم يجذبُ  
صددتَ وتبدي كلَّ خبث وتثلبُ

تصول عليّ لهتكِ عرضي وأعتلي  
ترى عزّتي يومًا فيومًا فتنشوي  
أرى أن نشري فيك كالمرح لاعجُ  
ولو لم يكن في القلب غير تغيطِ  
ولا تحسبنُ قلبي إلى الضغن مائلا  
كمثلك عادٍ ما رأيتُ ولا عنّا  
أردتَ وبالي لكن الله صانِي  
ولستَ عليّ مسيطرًا أو محاسبًا  
ترفقُ فإن الرفق للناس جوهرُ  
ولا تشربنُ جهلاً أجاجَ عداوةٍ  
ومن كان لا يتأدبنُ من ناصح  
أيا لاعني ما كنتُ بدعًا من الهوى  
عليّ لربيّ نعمةٌ بعد نعمة  
وإن رسول الله شمسٌ منيرةٌ  
جرت عادة الله الذي هو ربنا  
كذلك في الدنيا نرى قانونه  
حَفِ الله يا من بارزَ الله من هوى  
ولا تطلبنُ ریحانَ دنياك خِسَّةً  
يزيد الشقي شقاوةً طولُ أمِنه  
إذا ما قصدتُ إشاعة الحق في الورى

مقابرُ أمواتٍ وأرضٌ سبَّاسِبُ  
على صُحفِ مولانا وكلُّ يكذبُ  
به الطفل يلهو من عنادٍ ويجذبُ  
فهذا على الإسلام يومٌ عَصَبُ  
فتذرفُ عينُ الروح والقلبُ يشجبُ  
فلي من جميع الناس لعنٌ مرَّكبُ  
ومن باب خلاق الورى أين أذهب؟  
ويسقين من كأس الوصال فأشربُ  
غفورٌ فيغفر زلتى حين أذنبُ  
وعذابُ شوكةٍ منه عذبٌ وطيبُ  
ومن ينزلن عن فرسٍ كبيرٍ يركبُ  
ويفتح أبواب الجدا ويقربُ  
وإن الفتى في سؤله لا يلعبُ  
ولولاه ما تُبنا ولا نتقربُ  
له لمعاتُ زال منها الغيِّهْبُ  
وله إلى يوم النشور معقبُ  
كما في الزمان نشاهدن ونجربُ  
فوابله في كلِّ قرن يسكبُ  
وقد فاق أحلام الورى أفتعجبُ  
وليس كراعى الغنم يرمى ويحلبُ

وأنت ترى الإسلام قفراً كأنه  
تصول العدا من جهلهم وعنادهم  
وهديُّ كسِمْطِي لؤلؤٌ وزبرجدٍ  
ومن كل طرف تمطرن سهامهم  
نرى هذه من كل قوم بعيننا  
فقمْتُ فعاداني عداي ومعشري  
ولم يبق إلا حضرة الوتر ملجأً  
فإن ملاذي مستعانٌ يحببني  
غيورٌ فيأخذ رأسَ خصمي إذا اعتدى  
وإني بريءٌ من رياحين غيره  
يحبُّ التذللَ والتواضع رُبنا  
وللصابرين يوسع الله رحمه  
تعرفته حتى أتتني معارفُ  
رأيناه من نور النبي المصطفى  
له درجاتٌ في المحبة تامَّةٌ  
دُكاءٌ منيرٌ قد أنار قلوبنا  
وفي الليل بعد الشمس قمرٌ منورٌ  
ولله أطفافٌ على من أحبه  
وشيمته قد أفردت في فضائلٍ  
ورعى وآتى الصحب لبنا سائعاً

وليس التُّقى في الدين إلا اتِّباعه  
ولو كان ماءً مثل عسلٍ بطعمه  
مدحتك يا محبوبٍ من صدقٍ مُهْجتي  
وإنا لِحِئْنَا في عطاءك راعِبًا  
ووالله حُبُّكَ للنَّجاةِ لمؤمنٍ  
وآثرتُ حَبَّكَ بعد حبِّ مهيمني  
ونستصغر الدنيا وخضراءها معًا  
ألا أيها الشيخ الذي أكفرتني  
فتلك بعون الله مني قصيدةٌ  
وهذي ثلاثٌ قد نظمنا وهديَّةٌ  
فإن كنتَ ذا علمٍ فآتِ نظيرها

وكل بعيدٍ من هداه يُقَرَّبُ  
فوالله بحرُ المصطفى منه أعدبُ  
ولولاك ما كُنَّا إلى الشعر نرعبُ  
ومن جاء بابك سائلًا لا يُثَرَّبُ  
دليلٌ وعنوانٌ فكيف نحبُّ  
وئُصبي جناني من سناك وتجلبُ  
فلا نجتني منها ولا نُستخلبُ  
وإني بزعمك كافرٌ ثم هيدبُ  
محبَّةٌ ونظيره منك أطلبُ  
ببحرٍ خفيفٍ للأحباء أنسبُ  
وإن تعجزنَّ جهلا فكبيرك أعجبُ

## تفسير سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خضعت الأعناق لكبريائه، وتحيّرت الأبصار من مجده وعلائه، المقدّس عن الأنداد والأضداد والشركاء، المنزّه عن الأشباه والأقران والنظراء. هو الذي أرسل رسلاً لإصلاح الورى، ونجّى كلّ من قفا أثرهم واقتدى، واختار من اختار مهيعهم وتبعهم وما اتنى، فرضي عنه وثنى. والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء، محمد المصطفى الذي هو سيد قوم انكسرت إرادتهم البشرية، وأزيلت حركاتهم الطبيعية، وجرت في بواطنهم الأبحر الروحانية، ونفخ الله فيهم روحه ووالى وصافى. هو إمام مصاليت الله الذين خيّبوا شيطاناً ذا المكائد، حتى أخفق إخفاق الصائد، وهو الذي كفّ عن العيث والنزء ذيباً أكل غنم أنبياء بني إسرائيل، ونساً إلى الحق وعصم وهدى، فالسلام على هذا الجريّ البطل المظفر في الأولى والأخرى.

أما بعد.. فاعلم أرشدك الله تعالى أن هذا الكتاب بُلغة لكل من أراد أن يسلك في حدائق فاتحة الكتاب، ويعلم حقائق نكاته وشاحنة معارفه على نهج الصواب. وكل ما أودعته من درر البيان، فإني تفردت به من مواهب الله الرحمن، وفهمت من الملمه المتان، وليس فيه شيء

من لُفاظات موائد المتقدمين، ولا من حُشارة ملفوظات السابقين،  
 وحُثارِ الماضين، إلا النادر الذي هو كالمعدوم، وما عدا ذلك فهو من  
 ربي الذي أسبغ عليّ من باكورة العطاء، وأهمني من نِكَاتٍ ما لم تعط  
 أحد من العلماء، ليشدّ أزرِي ويضع عني وِزْرِي، ويؤيدني في إزراء  
 القادحين، ويؤمّ حجّتي على المنكرين المستكبرين. فالحمد لله الذي  
 هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هو ربنا وملجأنا، إنّنا  
 تُبْنَا إليه وهو أرحم الراحمين.

واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أنا تركنا تفسير البسملة، ولم  
 نكتب فيه شيئاً، لأن تفسير الفاتحة قد أحاطت\* بتفسيرها، وأغنى  
 عنها ببيان مبين. والآن نشرع في المقصود متوكلين على الله النصير  
 المعين.

## ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

هو الثناء باللسان على الجميل للمقتدر النبيل على قصد التبجيل،  
 والكامل التام من افراده مختصُّ بالربّ الجليل، وكل حمدٍ من الكثير  
 والقليل، يرجع إلى ربنا الذي هو هادي الضال ومُعزّ الدليل، وهو  
 محمود المحمودين.

\* يبدو أن التاء زيدت هنا سهواً، والصحيح: "أحاط". (الناشر)

والشكر يُفارق الحمدَ بخصوصيته بالصفات المتعدية عند أكثر العلماء، والمدح يفارقه في جميلٍ غير اختياريٍّ كما لا يخفى على البلغاء والأدباء الماهرين.

وإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد يُحيط عليهما بالاستيفاء، وقد ناب مناهما مع الزيادة في الرِّفاء وفي التزيين والتحسين. ولأن الكُفَّار كانوا يحمدون طواغيتهم بغير حق، ويؤثرون لفظ الحمد لمدحهم ويعتقدون أنهم منبع المواهب والجوائز ومن الجوادين؛ وكذلك كان موتاهم يُحمدون عند تعدد النوادب، بل في الميادين والمآدب، كحمد الله الرازق المتولي الضمين؛ فهذا ردُّ عليهم وعلى كل من أشرك بالله وذكرٌ للمتوسمين. وفي ذلك يلوم الله تعالى عبدة الأوثان واليهود والنصارى وكل من كان من المشركين. فكأنه يقول أيها المشركون.. لم تحمدون شركاءكم وتُطرون كبراءكم؟ أم أربابكم الذين ربوكم وأبناءكم؟ أم هم الراحمون الذين يرحمونكم ويردون بلاءكم، ويدفعون ما ساءكم وضراءكم، ويحفظون خيراً جاءكم، ويرحضون عنكم قشَفَ الشدائد ويداؤون داءكم، أم هم مالِكُ يوم الدين؟ بل الله يُرِّي ويرحم بتكميل الرِّفاء، وعطاء أسباب الاهتداء، واستجابة الدعاء، والتنجية من الأعداء، وسيعطي أجر العاملين الصالحين.

وفي لفظ "الحمد" إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وتعرفوني بكمالاتي، فإني لست

كالناقصين، بل يزيد حمدي على إطراء الحامدين، ولن تجد محامداً لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي، وإن أردت إحصاء محامدي فلن تحصيها، وإن فكرت بشقّ نفسك وكلفت فيها كالمستغرقين. فانظر هل ترى من حمد لا يوجد في ذاتي؟ وهل تجد من كمال بُعِدَ مني ومن حضرتي؟ فإن زعمت كذلك فما عرفني وأنت من قوم عمين. بل إنني أعرف بمحامدي وكمالاتي، ويُرَى وابلي بسُحْبِ بركاتي، فالذين حسبوني مستجمعَ جميعِ صفاتِ كاملة وكمالاتِ شاملة، وما وجدوا من كمال وما رأوا من جلال إلى جولانٍ خيال، إلا ونسبوها إليّ، وعزوا إليّ كل عظمة ظهرت في عقولهم وأنظارهم، وكلّ قدرة تراءت أمام أفكارهم، فهم قوم يمشون على طرق معرفتي، والحق معهم وأولئك من الفائزين.

فقوموا.. عافاكم الله.. واستقرئوا محامده عزَّ اسمه، وانظروا وأمعنوا فيها كالأكياس والمتفكرين. واستنفضوا واستشققوا أنظاركم إلى كل جهة كمال وتَحَسَّسوا منه في قَيْضِ العالمِ ومُحِّه، كما يتحسس الحريص أمانيه بشُحِّه، فإذا وجدتم كماله التام ووريَّاه، فإذا هو إيَّاه، وهذا سرٌّ لا يبدو إلا على المسترشدين.

فذلكم ربكم ومولاكم الكامل المستجمع لجميع الصفات الكاملة، والمحامد التامة الشاملة، ولا يعرفه إلا من تدبر في الفاتحة، واستعان بقلب حزين. وإن الذين يُخلصون مع الله نِيَّةَ العقد، ويعطونه صفقة

العهد، ويُطهّرون أنفسهم من الضغن والحقد، تُفتح عليهم أبوابها فإذا هم من المبصرين.

ومع ذلك فيه إشارة إلى أنه مَنْ هَلَكَ بخطاه في أمر معرفة الله تعالى، أو اتخذ إلهًا غيره، فقد هلك مِنْ رفضِ رعاية كمالاته وتركِ التأنق في عجائباته، والغفلةِ عما يليق بذاته، كما هو عادة المبطلين. ألا تنظر إلى النصرى أنهم دُعوا إلى التوحيد، فما أهلّكهم إلا هذه العلة، وسوّلت لهم النفسُ المضلّة، والشهوة المنزّلة، أن اتخذوا عبدًا إلهًا، وارتضعوا عُقار الضلالة والجهالة، ونسوا كمال الله تعالى وما يجب لذاته، ونحتوا لله البنات والبنين. ولو أنهم أمعنوا أنظارهم في صفات الله تعالى وما يليق له من الكمالات لما أخطأ توَسُّمهم وما كانوا من الهالكين. فأشار الله تعالى ههنا أن القانون العاصم من الخطأ في معرفة البارئ.. عز اسمه.. إمعانُ النظر في كمالاته، وتتبّع صفات تليق بذاته، وتدكّر ما هو أولى من جدوى، وأحرى من عدوى، وتصوّر ما أثبت بأفعاله من قوّته وحوله وقهره وطوّله، فاحفظه ولا تكن من اللافتين. واعلم أن الربوبية كلها لله، والرحمانية كلها لله، والرحيمية كلها لله، والحكم في يوم المجازاة كله لله، فإياك وتأييبك مِنْ مطاوعة مُربّيك، وكُن من المسلمين الموحّدين. وأشار في الآية إلى أنه تعالى مُنرّه مِنْ تجدّد صفة، وحؤول حالة، ولحوق وصمة، وحوّرٍ بعد كورٍ، بل قد ثبت الحمد له أوّلا وآخرا، وظاهرا وباطنا، إلى أبد الآبدين. ومن قال خلاف ذلك فقد حرّورف وكان من الكافرين.

وقد علمتُ أن هذه الآية رُدُّ على النصارى وَعَبْدَةِ الأوثان، فإنهم لا يوفون الله حَقَّهُ، ولا يرجون له بَرَقَهُ، بل يُغَدِفون عليه ستارة الظلام، ويلقونه في سبل الآلام، ويُبعِدونه من الكمال التام، ويُشركون به كثيرا من المخلوقين. فهذا هو الظن الذي أزداهم، والتقليد الذي أبادهم وأهلكهم، بما عوَّلوا على أقوال المفترين، وزعموا أنهم من الصادقين. وقالوا إن هذه في الآثار المنتقاة المدوَّنة عن الثقات، وما تَوَجَّهوا إلى عثر آبائهم، وجهلِ عُلمائهم، وتشريقهم وتغريبهم من مراكز تعاليم النبيين، وتَيِّههم في كل واد هائمين. والعجب من فهمهم وعقلهم أنهم يعلمون أن الله كامل تام لا يجوز فيه نقصٌ وشُنْعةٌ وشحوبٌ وذهولٌ، وتغيُّرٌ وحُوُولٌ، ثم يُجَوِّزون فيه كثيرا منها، وينسبون إليه كلّ شقوةٍ وخسرانٍ، وعيبٍ ونقصانٍ، ويكذِّبون ما كانوا صدَّقوه أوَّلًا ويهدون كالمجانين.

وفي لفظ الحمد لله تعليم للمسلمين أنهم إذا سُئِلوا وقيل لهم من إلهكم.. فوجب على المسلم أن يجيبه أن إلهي الذي له الحمد كله، وما من نوعٍ كمالٍ وقدرةٍ إلا وله ثابت، فلا تكن من الناسين. ولو لاحظَ المشركين حظَّ الإيمان، وأصابهم طلٌّ من العرفان، لما طاح بهم ظنُّ السوء بالذي هو قِيوم العالمين. ولكنهم حسبوه كرجل شاخ بعد الشباب، واحتاج بعد صمديته إلى الأسباب، ووقعت عليه شذائدُ نُحولٍ وفُحولٍ، وفَشَفُ نُحولٍ، ووقع في الإتراب، بل قرب من التباب، وكان من المتربين.

## ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ \* الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

اعلم أولاً أن العالم ما يُعَلَّم ويُخَبَّر عنه، وما يدل على الصانع الكامل الواحد المدبّر بالإرادة، ويلتخص الطالب إلى الإيمان به، وينصّه إلى المؤمنين.

وأما خبايا أسرارِ أسماءِ ذكّرها الله تعالى في هذه الآيات، وأودعها أنواعِ النِّكّاتِ، فأصغِ إليّ أكشِفْ لك قِناعها إن كنتَ استمحتني وجئتني كالمخلصين. فاعلم أن هذه الصفات عيون لفيوض الله الكاملة النازلة على أهل الأرض والسماء، وكلُّ صفةٍ منبعٌ لقسمٍ فيضٍ بترتيبٍ أودع الله آثارها في العالم، ليُري توافقَ قوله بفعله وليكون آيةً للمتفكرين.

**فالقسم الأول** من أقسام الصفات الفيضانية صفةٌ يسمّيها ربّنا "رب العالمين". وهذه الصفة أوسع الصفات في الإفاضة، ولا بد من أن نسمّي فيضانها فيضاناً أعمّ، لأن صفة الربوبية قد أحاطت الحيوانات وغير الحيوانات، بل أحاطت السماوات والأرضين، وفيضانها أعمُّ من كل فيض، ما غادر إنساناً ولا حيواناً ولا شجراً ولا حجراً ولا سماءً ولا أرضاً بل نزل ماؤه على كل شيء فأحياه، وأحاط بالكائنات كلها ظواهرها وبواطنها، فكلُّ شيءٍ صنيعَةٌ من الله الذي أعطى كلَّ شيءٍ حُلُقَه وبدأ حَلَقَ الإنسان من طين. واسم ذلك الفيض ربوبيةً،

وبه يبذر الله بذر السعادة في كل سعيد، وعليه يتوقف استثمار الخيرات و بروز مادة السعادات، وآثار الورع والحزامة والتقاة وكل ما يوجد في الرشيدين. وكل شقي وسعيد، وطيب وخبيث، يأخذ حَظَّهُ كما شاء ربُّه في المرتبة الربوبية، فهذا الفيض يجعل من يشاء إنساناً، ويجعل من يشاء حماراً، ويجعل ما يشاء نُحاساً، ويجعل ما يشاء ذهباً، وما كان الله من المسؤولين.

واعلم أن هذا الفيض جارٍ على الاتصال بوجه الكمال، ولو فُرض انقطاعه طرفةً عين لفسدت السماوات والأرض وما فيهن، ولكن أحاط صحيحاً ومريضاً، ويفاعاً وحضيضاً، وشجرًا وحجرًا، وكل ما في العالمين.

وقدّم الله هذا الفيض في كتابه وضعاً، لتقدّمه في عالم أسبابه طبعاً، فليس هذا التقديم محدوداً في توشية الكلام، ومحصوراً في رعاية الصفاء التام، بل هي بلاغة حِكْمية لإراءة النظام، من حيث إنه تعالى جعل أقواله مرآةً لرؤية أفعاله الموجودة في طبقات الأنام، لتطمئن به قلوب العارفين.

**والقسم الثاني** من الصفات الفيضانية، صفة يسمّيها ربُّنا "الرحمن". ولا بد من أن نسمي فيضانه فيضانا عامّاً ورحمانية، وله مرتبة بعد مرتبة الفيضان الأعمّ، وهو أخصّ من الفيضان الأول، ولا ينتفع منه إلا ذوو الروح من أشياء السماء والأرضين. وإن الله في وقت هذا الفيض لا ينظر الاستحقاق والعمل والشكر، بل يُنزله فضلاً منه

على كل ذي روح.. إنسانا كان أو حيوانا، مجنونا كان أو عاقلا، مؤمنا كان أو كافرا، ويُنجي كلَّ روح من هلكةٍ دانت منها بعدما كادت تهوي فيها، ويُعطي كلَّ شيء حُلْفًا ينفعه، لأن الله جواد بالذات وليس بظنين. فكل ما ترى في السماء من الشمس والقمر والنجوم والمطر والهواء، وما ترى في الأرض من الأنهار والأشجار والأثمار، والأدوية النافعة والألبان السائغة، والعسل المصقى، فكلها من رحمانيته عَلَيْهِ، لا من عمل العاملين. وإلى هذا الفيضان أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>١</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾<sup>٢</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْلُؤْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾<sup>٣</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾<sup>٤</sup>، تذكرة للمتقين. ولو لم يكن هذا الفيضان لما كان ليطير أن يطير في الهواء، ولا لحوت أن يتنفس في الماء، ولأباد كلَّ مُعِيل ضَفْفُهُ، وكلَّ ذي قَشَفٍ شَطْفُهُ، وما بقي سبيل لإماطته كما لا يخفى على المستطلعين.

ألا ترى كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، وسخر الشمس والقمر كلُّ يجري لأجل مسمى، إن في ذلك لآياتٍ رحمانية للمتدبرين. وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا، وجعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناءً، وصوّرکم فأحسن صُورکم، ورزقکم من الطيبات، فذلكم الرحمن ربكم

١ الأعراف: ١٥٧ ٢ الرحمن: ٢-٣ \* الأنبياء: ٤٣ ٣ الملك: ٢٠

مُرِّيِّ المساكين. والذين كفروا برحمانيته فجعلوا الله عليهم سلطانا مبينا، وما قدروا الله حق قدره وكانوا من الغافلين. ألا يرون إلى الشمس التي تجري من المشرق إلى المغرب؟ أكان خَلَقها وجريها من عملهم أو من تفضُّل الرحمن الذي وسعت رحمانيته الصالحين والظالمين. وكذلك يُنزل الله ماءً في أوقاته، فينشئ به زروعا وأشجارا فيها فواكه كثيرة، أفهذه النعماء من عمل عامل أو رحمانية خالصة من الله تعالى الذي نجانا من كل اعتياص المعيشة، وأعطانا سُلْمًا لكل حاجة نحتاج فيها إلى الارتقاء، وأرشيَّة نحتاج إليها للاستسقاء. فسبحان الله الذي أنعم علينا برحمانيته، وما كان لنا من عمل نستحق به، بل خلق نعماءه قبل أن نُخلِّق، فانظر.. هل ترى مثله في المنعمين؟

فحاصل الكلام أن الرحمانية رحمة عامة لنوع الإنسان والحيوان، ولكل ذي روح وكل نفس منفوسة، من غير إرادة أجرٍ عملٍ ومن غير لحاظٍ استحقاقٍ عبدٍ بصلاحه وتورُّعه في الدين.

**والقسم الثالث** من الصفات الفيضانية صفة يُسمِّيها ربُّنا "الرحيم"، ولا بد من أن نسَمِّي فيضاتها فيضانا خاصا ورحيميةً من الله الكريم للذين يعملون الصالحات ويشمرون ولا يقصرون، ويذكرون ولا يغفلون، ويبصرون ولا يتعامون، ويستعدون ليوم الرحيل، ويتقون سخط الرب الجليل، ويبيتون لربهم سُجْدًا وقيامًا، ويصبحون صائمين. ولا ينسون موتهم ورجوعهم إلى مولاهم الحق، بل يعتبرون بنعيِّ يُسْمَع، ويرتاعون لِإِلْفٍ يُفْقَد، ويذكرون مناياهم من موت الأحاب، ويهوهم

هَيْلُ التراب على الأتراب، فيلتاعون ويتنبهون، ويُريهم احترامُ الأحيّة موتَ أنفسهم، فيتوبون إلى الله وهم من الصالحين.

فلعلّك فهمتَ أن هذا الفيضان ينزل من السماء على شريطة العمل والتورّع والسّمة الصالحة والتقوى والإيمان، ولا وجودَ له إلا بعد وجود العقل والفهم، وبعد وجود كتاب الله تعالى وحدوده وأحكامه، وكذلك المحرومون من هذه النعمة لا يستحقون عتاباً ومؤاخظة من قَبْل هذه الشرائط. فظَهَرَ أن الرحيمية تَوْءَمُ لكتاب الله وتعليمه وتفهمه، فلا يُؤخذ أحدٌ قبله، ولا يُدرك أحداً عطبُ القهر إلا بعد ظهور هذه الرحيمية، ولا يُسأل فاسق عن فسقه إلا بعدها. فحُذِّ هذا السرّ مني وهو رُدُّ على المنتصرين. فإنهم قائلون بلسع الذنب من آدم إلى انقطاع الدنيا، ويقولون إن كل عبد مذنبٌ سواءً عليه بلَغُه كتابٌ من الله تعالى وأُعطيَ له عقل سليم أو كان من المعذورين. وزعموا أن الله تعالى لا يغفر أحداً إلا بعد إيمانه بالمسيح، وزعموا أن أبواب النجاة مغلقة لغيره، ولا سبيل إلى المغفرة بمجرد الأعمال، فإن الله عادل، والعدل يقتضي أن يعدّب من كان مذنباً وكان من المجرمين. فلما حصحص اليأس من أن تُطَهَّرَ الناسُ بأعمالهم، أرسلَ إليهم ابنه الطاهر لِيَزِرَ وَزَرَ الناس على عنقه، ثم يُصَلِّبُ وَيُنَجِّي الناس من أوزارهم، فجاء الابن وقتل ونجّى النصارى، فدخلوا في حدائق النجاة فرحين.

هذه عقيدتهم، ولكن من نَقَدَها بعين المعقول وَوَضَعَهَا على معيار التحقيقات، سَلَكَها مسلك الهديانات. وإن تعجّب فما تجد أعجب

من قولهم هذا. لا يعلمون أن العدل أهمُّ وأوجب من الرحم، فمن ترك المذنب وأخذ المعصوم ففعل فعلاً ما بقي منه عدل ولا رحم، وما يفعل مثل ذلك إلا الذي هو أضل من المجانين.

ثم إذا كانت المؤاخذات مشروطة بوعد الله تعالى ووعيده فكيف يجوز تعذيب أحد قبل إشاعة قانون الأحكام وتشيينه، وكيف يجوز أخذ الأولين والآخرين عند صدور معصية ما سبقها وعيدٌ عند ارتكابها، وما كان أحد عليها من المطلّعين. فالحق أن العدل لا يوجد أثره إلا بعد نزول كتاب الله ووعدده ووعيده وأحكامه وحدوده وشرائطه.

وإضافة العدل الحقيقي إلى الله تعالى باطل لا أصل لها، لأن العدل لا يُتصوّر إلا بعد تصوّر الحقوق وتسليم وجوبها، وليس لأحد حق على رب العالمين. ألا ترى أن الله سخر كل حيوان للإنسان وأباح دماءها لأدنى ضرورته، فلو كان وجوب العدل حقاً على الله تعالى لما كان له سبيلٌ لإجراء هذه الأحكام، وإلا فكان من الجائرين. ولكن الله يفعل ما يشاء في ملكوته، يُعزّز من يشاء، ويُذلّ من يشاء، ويُحيي من يشاء، ويميت من يشاء، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء. ووجود الحقوق يقتضي خلاف ذلك، بل يجعل يدها مغلولة، وأنت ترى أن المشاهدة تُكذّبها، وقد خلق الله مخلوقه على تفاوت المراتب، فبعض مخلوقه أفراسٌ وحمير، وبعضه جمالٌ ونوق، وكلاب وذياب ونمور، وجعل لبعض مخلوقه سمعا وبصرا، وخلق بعضهم صُمًّا، وجعل بعضهم

عمين. فلاي حيوان حق أن يقوم ويخاصم ربّه أنه لم خلقه كذا ولم يخلقه كذا؟

نعم.. كتّب الله على نفسه حق العباد بعد إنزال الكتب وتبليغ الوعد والوعيد، وبشّر بجزاء العاملين. فمن تبع كتابه ونبيه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى، ومن عصى ربه وأحكامه وأبى، فسيكون من المعدّين. فلما كان ملاك الأمر الوعد والوعيد، لا العدل العتيد، الذي كان واجبا على الله الوحيد، اتّهم من هذا الأصول • المنيف الممرّد الذي بناه النصارى من أوهامهم. فثبت أن إيجاب العدل الحقيقي على الله تعالى خيال فاسد ومتاع كاسد، لا يقبله إلا من كان من الجاهلين. ومن هنا نجد أن بناء عقيدة الكفّارة على عدل الله بناء فاسد على فاسد، فتدبّر فيه فإنه يكفيك لكسر صليب النصارى إن كنت من المناظرين.

واسم هذه الصفة في كتاب الله تعالى رحيمية كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>☆</sup>، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. \* فهذا الفيضان لا يتوجه إلا إلى المستحق، ولا يطلب إلا عاملا، وهذا هو الفرق بين الرحمانية والرحيمية، والقرآن مملو من نظائره، ولكن كفاك هذا القدر إن كنت من العاقلين.

• سهو، والصحيح: "الأصل". (الناشر)

☆ الأحزاب: ٤٤ \* الحجرات: ٦

**القسم الرابع من الفيضان..** فيضان نسميه فيضانا أخصّ ومظهرًا تامًا للمالكية، وهو أكبر الفيوض وأعلاها، وأرفعها وأتمها وأكملها ومُنْتهاها، وثمرة أشجار العالمين، ولا يظهر إلا بعد هدم عمارات هذا العالم الحقير الصغير ودروسِ أطلاله وآثاره، وشحوبِ سحنته ونضوبِ ماءِ وجنته، وأقولُ نجمه كالمعزبين. وهو عالم لطيف دقّت أسرارُه، وكثرت أنواره، يحارُّ فيها فهمُ المتفكرين.

وإن قلت لم قال الله تعالى في هذا المقام: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وما قال: عادلٌ يوم الدين؟ فاعلم أن السر في ذلك أن العدل لا يتحقق إلا بعد تحقُّق الحقوق، وليس لأحد من حق على الله رب العالمين. ونجاة الآخرة موهبة من الله تعالى للذين آمنوا به وسارعوا إلى امتهاله وتقبُّل أحكامه وعبادته ومعرفته بسرعة معجبة، كأنهم كانوا في نَجاء حركاتهم ومَسائِحِ غَدواتهم وروحاتهم ممتطين على هوجاءِ شِمْلَةٍ، ونُوقِ مُشَمَعَلَةٍ، وإن لم يُتَمِّموا أمر الإطاعة، وما عبدوا حق العبادَة، وما عرفوا حق المعرفة، ولكن كانوا عليها حريصين. وكذلك الذين عصوا ربهم، وإن لم تبلغ شقوتهم مداها، ولكن كانوا إليها مسارعين، وكانوا يعملون السيئات ويزيدون في جرائتهم وما كانوا من المنتهين. فكلُّ يرى ما كان في نيته رحمةً من الله أو قهراً، فمَنْ نَواَحَ مَهَبَ نَسِيمِ الرِّحْمَةِ فسيجد خطأً منها خالداً فيها، ومَنْ قَابَلَ صِراصِرَ القَهْرِ فسيقع في صدماتها. وما هذا إلا المالكية لا العدل الذي يقتضي الحقوق، فتدبَّر ولا تكن من الغافلين.

واعلم أن في ترتيب هذه الصفات بلاغة أخرى نريد أن نذكرها لتكتحل من كحل المتبصرين. وهو أن الآيات التي رصع الله بعدها كلها مقسومة على تلك الصفات برعاية المحاذاة، ووضع بعضها تحت بعض كطبقات السماوات والأرضين. وتفصيله أنه تعالى ذكر أولاً ذاته وصفاته بترتيب يوجد في العالمين. ثم ذكر كل ما هو يناسب البشرية بترتيب يُشاهد في قانون الله، ومع ذلك جعل كل صفة بشرية تحت صفة إلهية، وجعل لكل صفة إنسانية مشرباً وسُقياً من صفة إلهية تستفيض منها، وأرى التقابل بينهما بترتيب وضعي يوجد في الآيات، فتبارك الله أحسن المرتبين. وتشريحه التام أن الصفات مع اسم الذات خمسة أبحرٍ قد تقدّم ذكرها في صدر السورة.. أعني: (١) الله، (٢) رب العالمين، (٣) والرحمن، (٤) والرحيم، (٥) ومالك يوم الدين. فجعل الله كمثلاً خمسة من المغتربات مما ذكر من بعد، وقابل الخمسة بالخمسة، وكل واحد من المغتربات يشرب من ماء صفة تُشابهه وتُنأوجه، وتأخذ مما احتوت على معان تسرُّ العارفين.

مثلاً.. **أَوْهًا بَحْرُ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَغْتَرِفُ مِنْهُ جَمَلَةٌ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** التي حدّته وصارت كالمحاذين. وحقيقة التعبد تعظيمُ المعبود بالتذلل التام والاحتذاء بمثاله والانصباغ بصبغه والخروج من النفس والأنانية كالفانين. وسرُّه أن العبد قد حُلِقَ كالمريض والعليل والعطشان، وشفأؤه وتسكين غلّته وإرواء كبده في ماء عبادة الله، فلا يبرأ ولا يرتوي إلا إذا يثني إليه انصبابه، ويُفرط صبابه، ويسعى إليه

كالمتسقين. ولا يُطَهَّر قريحته ولا يلبِّد عجاجته ولا يُجَلِّي مُجَاجَتَه إلا ذَكَرُ الله، ألا بذكر الله تطمئن قلوب الذين يعبدون الله ويأتونه مسلمين. ففي آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إقراراً لمعبودية الله الذي هو مستجمع بجميع صفات الكاملية، ولذلك وقعت هذه الجملة تحت جملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فانظر إن كنت من الناظرين.

**وثانيها بحرُ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، وتغترف منها جملة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فإن العبد إذا سمع أن الله يُرِيِّي العالمين كلها، وما من عالم إلا هو مربِّيه، ورأى نفسه أمارَةً بالسوء، فتضرَّع واضطرَّ والتجأ إلى بابه، وتعلَّق بأهدابه، ودخل في مادبه برعاية آدابه، ليدركه بالربوبية ويُحسن إليه وهو خير المحسنين؛ فإن الربوبية صفةٌ تعطي كلَّ شيء خلقه المطلوبَ لوجوده، ولا يغادره كالناقصين.

**وثالثها بحرُ اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾** وتغترف منه جملة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ليكون العبد من المهتدين المرحومين. فإن الرحمانية تُعطي كلَّ ما يحتاج إليه الوجود الذي رُيِّي من صفة الربوبية، فهذه الصفة تجعل الأسبابَ موافقةً للمرحوم. وأثرُ الربوبية تسويةُ الوجود وتخليقه كما يليق وبنبغي، وأثرُ هذه الصفة أنها تُكسي ذلك الوجودَ لباساً يوارى سواته، وتَهَبُّ له زينته، وتكحل عينه وتغسل وجهه، وتعطي له فرساً للركوب، وتُريه طرق الفارسين. ومَرَّتبتها بعد الربوبية، وهي تعطي كلَّ شيء مطلوبَ وجوده، وتجعله من الموقَّقين.

ورابعها **بِحُرِّ اسْمِ الرَّحِيمِ** وتغترف منه جملة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ليكون العبد من المنعمين المخصوصين. فإن الرحيمية صفة مُدْنِيَةٌ إلى الإنعامات الخاصة التي لا شريك فيها للمطيعين، وإن كان الإنعام العام محيطة بكل شيء من الناس إلى الأفاعي والتنين.

وخامسها **بِحُرِّ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** وتغترف منه جملة ﴿عَبْرُ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فإن غضب الله وتركه في الضلالة لا تَظْهَرُ حَقِيقَتُهُ على الناس على وجه الكامل إلا في يوم المجازاة، الذي يُجَالِيهِمُ اللهُ فيه بغضبه وإنعامه، ويُجَالِحُهُمْ بتدليله وإكرامه، ويُجَلِّي عَنْ نَفْسِهِ إِلَى حَدِّ مَا جَلَّى كَمَثَلِهِ، وتراءى السابقون كفرس مُجَلَّى، وتراءت الجالية بِعِيَّتِهِمُ المبين. وفيه يعلم الذين كفروا أنهم كانوا موردَ غضب الله وكانوا قوما عمين. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، ولكن عَمَى هذه الدنيا مَحْفِيٌّ وَيَتَبَيَّنُ في يوم الدين. فالذين أبوا وما تبعوا هَدْيَ رَسُولِنَا ونور كتابنا وكانوا لطواغيتهم متبعين، فسوف يرون غضب الله وتَغْيِطَ النار وزفيرها، ويرون ظلمتهم وضلالتهم بالأعين، ويجدون أنفسهم كالظالع الأعور، ويدخلون جهنم خالدين فيها، وما كان لهم أحد من الشافعين.

وفي الآية إشارة إلى أن اسم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ذو الجهتين.. يُضَلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، فاسألوه أن يجعلكم من المهتدين.

• سهو، والصحيح: "الوجه". (الناشر)

هذا ما أردنا من بيان بعض نكات هذه الآية ولطائفها الأدبية التي هي للناظرين كالأيات، وبلاغتها الرائعة المبتكرة المحبزة المحتوية على محاسن الكنايات، مع دُرر حِكْمِيَّة ومعارف نادرة من دقائق الإلهيات، فلا تجد نظيرها في الأولين والآخرين. فلا شك أن مُلَحَّ أَدْبَها بارعة، وَقَدَمَها على أعلام العلوم فارعة، وهي يصبي ◆ قلوب العارفين. وقد علمت ترتيب خمسة أبحر التي تجري بعضها تلو بعض، فَتَسَلَّمْه وكن من الشاكرين. وأما ترتيب المغترفات فتعرفه بترتيب أبحرها إن كنت من المغترفين.

## ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قدّم الله عَبَّكَ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى تفضلاته الرحمانية من قَبْلِ الاستعانة، فكأن العبد يشكر ربه ويقول يا رب إني أشكرك على نعمائك التي أعطيتني من قبل دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتني بالربوبية والرحمانية التي سبقت سُؤْلَ السائلين، ثم أطلبُ منك قوَّةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا ومقاصد التي لا تُعْطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير المعطين. وفي هذه الآيات حثٌّ على شكر ما تُعْطَى، والدعاء بالصبر فيما تتمنى، وفرط اللهج إلى ما هو أتم وأعلى، لتكون من الشاكرين

◆ سهو، والصحيح: "تصبي". (الناشر)

الصابرين. وفيها حثٌّ على نفي الحَوْل والقوة، والاستطراح بين يدي سبحانه مترفِّبًا منتظرًا مديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوف والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الطمر، والموت عن الخلق وعن كل ما هو في الأرضين. وفيها حثٌّ على إقرار واعتراف بأنا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظِّين. وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والرَّهْو، والاعتصام بقوة الله تعالى وحوله عند اعتياص الأمور وهجوم المشكلات، والدخول في المنكسرين. كأنه - تعالى شأنه - يقول يا عباد احسبوا أنفسكم كالميتين، وباللَّه اعتضدوا كل حين. فلا يَزِدْهُ الشابُّ منكم بقوته، ولا يتخصَّر الشيخ بمرأوته، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودة فهمه وذكائه، ولا يتكئ الملهم على إلهامه وكشفه وخلوص دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرده من يشاء، ويُدخل من يشاء في المخصوصين.

وفي جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى عظمة شرِّ النفس الأمّارة التي تسعى كالعسّارة، فكأنها أفعى شرُّها قد طَمَّ، فجعل كلَّ سليم كعظم إذا رَمَّ، وتراها تنفث السمَّ، أو هي ضرغامٌ ما ينكُل إن همَّ، ولا حول ولا قوة ولا كسب ولا لمَّ، إلا بالله الذي هو يرحم الشياطين.

وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نكاتٌ أخرى، فنكتب للذين هم مشغوفون بآيات المثاني لا برنات المثاني، ويسعون إليها شائقين.

وهي أن الله وَعَلَّمَ يعلم عباده دعاءً فيه سعادتهم، فيقول يا عبادِ سلُونِي بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد ولكن بالمعانة والتكلف والتجشم وتفرقة خاطر وتمويهات الخناس وبالروية الناضبة والأوهام الناضبة والخيالات المظلمة، كماءٍ مُكَدَّرٍ مِنْ سَيْلٍ أَوْ كحاطب ليل، وَإِنْ نَتَّبِعْ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَيْقِنِينَ. ﴿وإياك نستعين﴾ يعني: نستعينك للذوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بجُلي المعارف وحُلل الحبور، لنكون بفضلك من سباقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين.

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرعّب فيه عباده إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبية المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنّنا لا نألو في المجاهدات، وفي امتالك وابتغاء المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنان بالعُجب والرياء، ونستوهب منك توفيقاً قائداً إلى الرشد والرضاء، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكْتُبْنَا فِي المِطَاوعِينَ.

وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّنا خصصناك بمعبوديتك، وآثرناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئاً إلا وجهك، وإنّا من الموحّدين.

واختار وَعَلَّمَ لفظ المتكلّم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم

وودادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتم ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه، ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عبادِ تهادوا بالدعاء تهادي الإخوان والمحبين. وتناثثوا دعواتكم وتباثثوا نيّاتكم، وكونوا في المحبة كالإخوان والآباء والبنين.

## ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

هذا الدعاء ردٌّ على قول الذين يقولون إن القلم قد جفَّ بما هو كائن، فلا فائدة في الدعاء، فالله تبارك وتعالى يُبشِّر عباده بقبول الدعاء، فكأنه يقول يا عباد ادعوني أستجب لكم. وإن في الدعاء تأثيرات وتبديلات، والدعاء المقبول يُدخل الداعي في المنعمين. وفي الآية إشارة إلى علامات تُعرَف بها قبولية الدعاء على طريق الاصطفاء، وإيماءً إلى آثار المقبلين. لأن الإنسان إذا أحبَّ الرحمن وقوى الإيمان، فذلك الإنسان وإن كان على حُسن اعتقاد في أمر استجابة دعواته، ولكن الاعتقاد ليس كعين اليقين، وليس الخبر كالمعاينة، ولا يستوي حال أولي الأبصار والعمين، بل من يُدرَّب باستجابة الدعاء حق التدرَّب، وكان معه أثر من المشاهدات، فلا يبقى له شكٌّ ولا ريبٌ في قبولية الأدعية. والذين يشكّون فيها فسببه

حرماؤهم من ذلك الحظّ، ثم قلّة التفاتهم إلى ربهم، وابتلاؤهم بسلسلة أسبابٍ توجد في واقعات الفطرة وظهورات القدرة، فما ترقّت أعينهم فوق الأسباب المادية الموجودة أمام الأعين، فاستبعدوا ما لم نُحِط بها آراؤهم وما كانوا مهتدين.

وفي هذه السورة نكاتٌ شتى نريد أن نكتب بعضها، ومنها أن الفاتحة سبع آياتٍ أولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وآخرها: ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وفي الآية الأولى بيانٌ بدء الخلق، وفي الأخرى إشارة إلى قوم تقوم القيامة عليهم وعلى أمثالهم من اليهود والمنتصرين. وفي تعيين "سبع" آية إشارة إلى أن عمر الدنيا سبعة كما أن أيام أسبوعنا سبعة. وما ندري حقيقة السبعة على وجه التحقيق، فهي آلاف كآلافنا أو غير ذلك، ولكننا نعلم أنه ما بقي من السبعة إلا واحداً، وقد أراد الله تصرفات جديدة بعد انقضائها، فيهلك القرون الأولى عند اختتامها ويخلق الآخرين.

وفي الآية السادسة.. يعني ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ نكتةٌ أخرى، وهي أن آدم قد حُلق في يوم السادس، وأنعم عليه ونُفخ فيه روح الحياة في الجمعة بعد العصر، وكذلك يُخلق رجلٌ في الألف السادس وهو آدم قوم أضعوا إيمانهم، فيجيء ويُنحي قلوبهم، ويهب لهم عرفانا غصّاً طريّاً، ويجعلهم بعد نومهم من المستيقظين.

وفي آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارةٌ وحثٌّ على دعاء صحة المعرفة، كأنه يُعلّمنا ويقول ادعوا الله أن يُريكم صفاته كما هي

ويجعلكم من الشاكرين، لأن الأمم الأولى ما ضلوا إلا بعد كونهم عُميًا في معرفة صفات الله تعالى وإنعاماته ومرضاته، فكانوا يُفانون الأيام فيما يزيد الآثام، فحلَّ غضبُ الله عليهم، فضربت عليهم الذلة وكانوا من الهالكين. وإليه أشار الله تعالى في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وسياق كلامه يُعلم أن غضب الله لا يتوجه إلا إلى قوم أنعم الله عليهم من قبل الغضب، فالمراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الآية قوم عصوا في نعماء وآلاءٍ رزقهم الله خاصة واتبعوا الشهوات، ونسوا المنعم وحقه وكانوا من الكافرين. وأما الضالون فهم قوم أرادوا أن يسلكوا مسلك الصواب، ولكن لم يكن معهم من العلوم الصادقة والمعارف المنيرة الحقّة، والأدعية العاصمة الموفقة، بل غلبت عليهم خيالات وهمية فركنوا إليها وجهلوا طريقهم، وأخطأوا مشربهم من الحق فضلّوا، وما سرّحوا أفكارهم في مراعي الحق المبين. والعجب من أفكارهم وعقولهم وأنظارهم أنهم جوّزوا على الله وعلى خلقه ما يأبى منه الفطرة الصحيحة والإشراقات القلبية، ولم يعلموا أن الشرائع تخدم الطباع، والطبيب معينٌ للطبيعة لا منازعٌ لها، فيا حسرةً عليهم.. ما ألهاهم عن صراط الصادقين!

وفي هذه السورة يُعلم الله تعالى عباده المسلمين.. فكأنه يقول يا عباد.. إنكم رأيتم اليهود والنصارى، فاجتنبوا شبة أعمالهم، واعتصموا بجبل الدعاء والاستعانة، ولا تنسوا نعماء الله كاليهود، فيحلّ عليكم

غضبه، ولا تتركوا العلوم الصادقة والدعاء، ولا تهنوا من طلب الهداية كالنصارى فتكونوا من الضالين.

وحتّى على طلب الهداية إشارةً إلى أن الثبات على الهداية لا يكون إلا بدوام الدعاء والتضرع في حضرة الله. ومع ذلك إشارة إلى أن الهداية أمرٌ من لديه، والعبء لا يهتدي أبداً من غير أن يهديه الله ويُدخله في المهديين. وإشارةً إلى أن الهداية غير متناهية، وترقى النفوس إليها بسلم الدعوات، ومن ترك الدعاء فأضاع سلّمه، فإنما الحريّ بالاهتداء من كان رطب اللسان بالدعاء وذكر ربه، وكان عليه من المداومين. ومن ترك الدعاء وادّعى الاهتداء، فعسى أن يتزين للناس بما ليس فيه، ويقع في هوة الشرك والرياء، ويخرج من جماعة المخلصين. والمخلص يترقى يوماً فيوماً حتى يصير مُخلصاً.. بفتح اللام.. وتهب له العناية سرّاً يكون بين الله وبينه ويدخل في المحبوبين، ويتنزل منزلة المقبولين. والعبء لا يبلغ حقيقة الإيمان من غير أن يفهم حقيقة الإخلاص ويقوم عليها، ولا يكون مخلصاً وعنده على وجه الأرض شيءٌ يتكئ عليه ويخافه أو يحسبه من الناصرين. ولا ينجو أحد من غوائل النفس وشروها إلا بعد أن يتقبله الله بإخلاصه، ويعصمه بفضله وحوله وقوته، ويذيقه من شراب الروحانيين، لأنها خبيثة وقد انتهت إلى غاية الخبث وصارت منشأ الأهوية المضلّة الرديّة المرديّة، فعلم الله تعالى عباده أن يفروا إليه بالدعاء عائداً من شروها ودواهيها ليدخلهم في زمر المحفوظين. وإن مثل جذبات النفس كمثل الحُمّيات

الحادّة، فكما تجد عند تلك الحُمّيات أعراضاً هائلة مشتتة مثل النافض والبرد والقشعريرة، ومثل العرق الكثير والرعاف المفرط والقيء العنيف والإسهال المضعف، والعطش الذي لا يُطاق، ومثل السبات الكثير والأرقّ اللازم، وخشونة اللسان وقحل الفم، ومثل العطاس المِلحّ والصداع الصعب، والسعال المتواتر وسقوط الشهوة والقُواق، وغيرها من علامات المحمومين؛ كذلك للنفس جذبات وعلامات، موادها تفور، وأمواجها تمور، وأعراضها تدور، وبقراتها تخور، وأسيرها يبور، وقلّ مَنْ كان من الناجين. فطلبُ الهداية كمثل الرجوع إلى الطبيب الحاذق والاستطراح بين يدي المعالجين. والإنعام الذي أشار الله إليه لعباده هو تَبَتُّلُ العبد إلى الله وإحماء وداده ودوام إسعاده، ورجوعُ الله إليه ببركاته وإلهاماته واستجاباته، وجعله طودًا من أطواده، وإدخاله في عباده المحفوظين، وقوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، وجعله من الطيبين الطاهرين، فهذا هو الشفاء من حُمّى المعاصي، والعلاج بأوفق الأدوية والأغذية، والتدبير اللطيف الذي لا يعلمه إلا رب العالمين.

ثم اعلم أن الله في هذه السورة المباركة يُبين للمؤمنين ما كان آخر شأن أهل الكتاب ويقول إن اليهود عصوا ربه بعد ما نزلت عليهم الإنعامات وتواترت التفضلات، فصاروا قوما مغضوبا عليه، والنصارى

نسوا صفاتِ ربهم وأنزلوه منزلَ العبد الضعيف العاجز، فصاروا قوما ضالين.

وفي السورة إشارة إلى أن أمر المسلمين سيؤول إلى أمر أهل الكتاب في آخر الزمان، فيشابهونهم في أفعالهم وأعمالهم، فيدركهم الله تعالى بفضلٍ من لدنه، وإنعامٍ من عنده، ويحفظهم من الانحرافات السبعية والبهيمية والوهمية، ويدخلهم في عباده الصالحين.

وفي السورة إشارة إلى بركات الدعاء، وإلى أنه كل خير ينزل من السماء، وإلى أنه من عرف الحق وثبت نفسه على الهدى، وتهدب وصلح فلا يضيعه الله ويدخله في عباده المنعمين. والذي عصى ربه فيكون من الهالكين.

وفي السورة إشارة إلى أن السعيد هو الذي كان فيه جيشُ الدعاء، لا يعبأ ولا يلعب، ولا يعيس ولا ييأس، ويثق بفضل ربه إلى أن تدركه عناية الله فيكون من الفائزين.

وفي السورة إشارة إلى أن صفات الله تعالى مؤثرة بقدر إيمان العبد بها، وإذا توجه العارف إلى صفة من صفات الله تعالى وأبصره ببصر روحه، وآمن ثم آمن ثم آمن حتى فنى في إيمانه، فتدخل روحانية هذه الصفة في قلبه، وتأخذه منه، فيرى السالك باله فارغاً من غير الرحمن، وقلبه مطمئنًا بالإيمان، وعيشه حلواً بذكر المنان، ويكون من المستبشرين. فتتجلى تلك الصفة له وتستوي عليه حتى يكون قلبُ

هذا العبد عرشَ هذه الصفة، وينصبغ القلب بصبغها بعد ذهاب الصبغ النفسانية، وبعد كونه من الفانين.

فإن قلت من أين علمت أن هذه الإشارة توجد في الفاتحة؟ فاعلم أن لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يدل عليه، فإن الله تعالى ما قال: "قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ"، بل قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فكأنه أنطقَ فطرتنا وأرانا ما كان مخفياً في فطرتنا. وهذه إشارة إلى أن الإنسان قد خُلق على فطرة الإسلام، وأُدخل في فطرته أن يحمد الله ويستيقن أنه رب العالمين، ورحمن، ورحيم، ومالك يوم الدين. وأنه يُعين المستعين ويَهدي الداعين. فثبت من ههنا أن العبد مجبولٌ على معرفة ربه وعبادته، وقد أُشرب في قلبه محبته، فتظهر هذه الحالة بعد رفع الحجب، وتُجري ذكر الله تعالى على اللسان من غير اختيار وتكلف، وتنبت شجرة المعارف وتثمر وتؤتي أكله<sup>٥</sup> كل حين.

وفي قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة أخرى، وهو أن الله تعالى خلق الآخرين مشاكِلين بالأولين. فإذا اتصلت أرواحهم بأرواحهم بكمال الاقتداء ومناسبة الطبائع، فينزل الفيض من قلوبهم إلى قلوبهم، ثم إذا تمَّ إفضاء المستفيض إلى المفيض وبلغ الأمر إلى غاية الوصلة، فيصير وجودهما كشيء واحد، ويغيب أحدهما في الآخر، وهذه الحالة هي المعبر عنها بالاتحاد، وفي هذه المرتبة يُسمى

<sup>٥</sup> سهو، والصحيح: "أكلها". (الناشر)

السالك في السماء تسمية الأنبياء لمشاكبته إياهم في جوهرهم وطبعهم كما لا يخفى على العارفين.

وحاصل الكلام أن الله تعالى يُبشِّرُ لأمة نبيِّنا ﷺ، فكأنه يقول يا عبادِ إنكم خُلِقْتُمْ على طبائع المنعمين السابقين، وفيكم استعداداتهم، فلا تُضيعوا الاستعدادات، وجاهدوا لتحصيل الكمالات، واعلموا أن الله جوادٌ كريم وليس ببخيل ضنين. ومن ههنا يُفهم سرُّ نزول المسيح الذي يختصم الناس فيه.. فإن عبدًا من عباد الله إذا اقتدى هدي المهتدين، وتبع سنن الكاملين، وتأهَّبَ للانصباغ بصبغ المهديين، وعطف إليهم بجميع إرادته وقوته وجنانه، وأدَّى شرط السلوك بحسب إمكانه، وشَفَعَ الأقوال بالأعمال والمقالَ بالحال، ودخل في الذين يتعاطون كأس المحبة للقادر ذي الجلال، ويقتدحون زنادَ ذكر الله بالتضرع والابتهال، ويكون مع الباكين.. فهناك يفور بحر رحمة الله ليُطهره من الأوساخ والأدران، ولترويه • بإفاضة التهتان، ثم يأخذ يده ويُرقِّيه إلى أعلى مراتب الارتقاء والعرفان، ويُدخله في الذين خلوا من قبله من الصلحاء والأولياء والرسل والنبيين، فيُعطي كمالا كمثل كمالهم، وجمالاً كمثل جمالهم، وجلالاً كمثل جلالهم، وقد يقتضي الزمان والمصلحة أن يُرسل هذا الرجلَ على قدم نبي خاص، فيُعطي له عِلْمًا كعلمه، وعقلا كعقله، ونورًا كنوره، واسمًا كاسمه، ويجعل الله أرواحهما كمرايا متقابلة، فيكون النبي كالأصل، والولي كالظل، من

• سهو، والصحيح: "ليرويه". (الناشر)

مرتبه يأخذ ومن روحانيته يستفيد، حتى يرتفع منهما الامتياز والغيرية، وترد أحكام الأول على الآخر، ويصيران كشيء واحد عند الله وعند ملكه الأعلى، وينزل على الآخر إرادة الله وتصريفه إلى جهة، وأمره ونهيه بعد عبوره على روح الأول، وهذا سرٌّ من أسرار الله تعالى لا يفهمه إلا من كان من الروحانيين.

واعلم أن ذلك الرجل الذي يتشابه قلبه بقلب نبي بمشابهة قوية شديدة تامة كاملة لا يأتي إلا إذا اشتدت الضرورة لمجيئه، فلما قامت الضرورة لوجود مثل ذلك الرجل.. يستأثر الله عبدا من عباده لهذا الأمر، فيدانيه رحمته كما كانت دانت مؤثرته، وينزل عليه سرّ روحه وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته وشأن شمائله، ويجعل إرادته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، حتى يتجلى فيه جميع شؤون النبي المشبه به ويصير مغمورا في معنى الاتحاد، فيصيران حقيقة واحدة يقع عليهما اسم واحد، ويُنسبون إلى مثال واحد، كأن النبي المشبه به نزل من السماء إلى أهل الأرضين. فهذا معنى قول النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم العليّة، وهو الحق لا يُخالف القرآن ولا يُعارضه، وقد مضى مثله في الأولين. فلا تجادل بغير الحق ولا تكن من المنكرين. قد تُؤيّي عيسى كما تُؤيّي الذين خلوا من قبله وجاءوا من بعده. فلا تحفّ قوما تركوا كتاب الله ونصوصه، وآثروا غير القرآن على القرآن، وآثروا الشك على اليقين، وحفّ الله وقهره واعتزل تلك الفرق كلها واعتصم بمجل

الله المتين. ومن صرف عنان التوجه إلى هذه الآية وأمعن فيه<sup>٥</sup> حق الإمعان، فيرى أنها شاهد على بياننا هذا ويكون من المذعنين.

فلا تعذلوني بعد ما قلت سرّه      وأثبتّه بدلائل الفرقان  
وقد بانَ برهاني بقولٍ واضحٍ      وأنا صدقي عند ذي العرفان  
وعليك بالصدق النقيّ وسبله      ولو أنه ألقاك في النيران

ثم اعلم أن الله تعالى صفات ذاتية ناشئة من اقتضاء ذاته، وعليها مدار العالمين كلها، وهي أربعة: (١) ربوبية (٢) ورحمانية (٣) ورحيمية (٤) ومالكية، كما أشار الله تعالى إليها في هذه السورة وقال: (١) رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ (٣) الرَّحِيمِ (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. فهذه الصفات الذاتية سابقة على كل شيء ومحيطة بكل شيء، ومنها وجودُ الأشياء واستعدادها، وقابليتها ووصولها إلى كمالاتها. وأما صفة الغضب فليست ذاتية لله تعالى، بل هي ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق، وكذلك صفة الإضلال لا يبدو إلا بعد زيغ الضالين.

وأما حصر الصفات المذكورة في الأربع فنظرًا على العالم الذي يوجد فيه آثارها. ألا ترى أن العالم كله يشهد على وجود هذه الصفات بلسان الحال، وقد تجلت هذه الصفات بنحوٍ لا يشك فيها

<sup>٥</sup> سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)

بصيرٌ إلا من كان من قوم عمين. وهذه الصفات أربعٌ إلى انقراض  
النشأة الدنيوية، ثم تتجلى من تحتها أربع أخرى التي من شأنها أنها لا  
تظهر إلا في العالم الآخر، وأوّل مطالعِها عرشُ الرب الكريم الذي لم  
يتدنس بوجود غير الله تعالى وصار مظهرًا تامًّا لأنوار رب العالمين،  
وقوائمه أربعٌ: ربوبية ورحمانية ورحيمية ومالكية يوم الدين. ولا جامع  
لهذه الأربع على وجه الظليّة إلا عرشُ الله تعالى وقلبُ الإنسان  
الكامل، وهذه الصفات أمهات لصفات الله كلها، ووقعت كقوائم  
العرش الذي استوى الله عليه، وفي لفظ الاستواء إشارة إلى هذا  
الانعكاس على الوجه الأتم الأكمل من الله الذي هو أحسن الخالقين.  
وتنتهي كل قائمة من العرش إلى ملكٍ هو حاملها، ومدبّر أمرها،  
ومورّد تجلياتها، وقاسمها على أهل السماء والأرضين. فهذا معنى قول  
الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾\*، فإن الملائكة  
يحملون صفاتٍ فيها حقيقة عرشية. والسر في ذلك أن العرش ليس  
شيئًا من أشياء الدنيا، بل هو برزخ بين الدنيا والآخرة، ومبدأً قديم  
للتجليات الربانية والرحمانية والرحيمية والمالكية لإظهار التفضلات  
وتكميل الجزاء والدين. وهو داخلٌ في صفات الله تعالى، فإنه كان ذا  
العرش من قديم، ولم يكن معه شيء، فكُن من المتدبرين.

وحقيقة العرش واستواء الله عليه سرٌّ عظيم من أسرار الله تعالى  
وحكمة بالغة ومعنى روحاني، وسمّي عرشًا لتفهيم عقول هذا العالم

ولتقريب الأمر إلى استعداداتهم، وهو واسطة في وصول الفيض الإلهي والتجلي الرحماني من حضرة الحق إلى الملائكة، ومن الملائكة إلى الرسل. ولا يقدح في وحدته تعالى تكثُرُ قوالب الفيض، بل التكثر ههنا يوجب البركات لبني آدم، ويعينهم على القوة الروحانية، وينصرهم في المجاهدات والرياضات الموجبة لظهور المناسبات التي بينهم وبين ما يصلون إليه من النفوس كنفس العرش والعقول المجردة إلى أن يصلون • إلى المبدأ الأول وعلة العلل. ثم إذا أعان السالك الجذبات الإلهية والنسيُم الرحمانية، فيقطع كثيرا من حجه، وينجيه من بُعد المقصد وكثرة عقباته وآفاته، وينوره بالنور الإلهي ويدخله في الواصلين. فيكمل له الوصول والشهود مع رؤيته عجائب المنازل والمقامات. ولا شعور لأهل العقل بهذه المعارف والنكات، ولا مدخل للعقل فيه، والاطلاع بأمثال هذه المعاني إنما هو من مشكاة النبوة والولاية، وما شمت ♦ العقل رائحته، وما كان لعاقل أن يضع القدم في هذا الموضوع إلا بجذبة من جذبات رب العالمين.

وإذا انفكت الأرواح الطيبة الكاملة من الأبدان، ويتطهرون على وجه الكمال من الأوساخ والأدران، يُعرضون على الله تحت العرش بواسطة الملائكة، فيأخذون بطور جديد حظاً من ربوبيته يغاير ربوبية سابقة، وحظاً من رحمانية مغاير رحمانية أولى، وحظاً من رحيمية

• سهو، والصحيح: "يصلوا". (الناشر)

♦ سهو، والصحيح: "شم". (الناشر)

ومالكية مغاير ما كان في الدنيا. فهنالك تكون ثمانى صفات تحملها ثمانية من ملائكة الله بإذن أحسن الخالقين. فإن لكل صفة مَلَكٌ مُؤَكَّلٌ قد حُلِقَ لتوزيع تلك الصفة على وجه التدبير ووضعها في محلها، وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿فَالْمُذَبِّبَاتِ أَمْرًا\*﴾، فتدبَّر ولا تُكُنْ من الغافلين.

وزيادة الملائكة الحاملين في الآخرة لزيادة تجليات ربانية ورحمانية ورحيمية ومالكية عند زيادة القوابل، فإن النفوس مطمئنة بعد انقطاعها ورجوعها إلى العالم الثاني والرب الكريم تترقى في استعداداتها، فتتموج الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية بحسب قابلياتهم واستعداداتهم كما تشهد عليه كشوف العارفين. وإن كنت من الذين أُعْطِيَ لَهُمْ حِطٌّ مِنَ الْقُرْآنِ، فتجد فيه كثيرا من مثل هذا البيان، فانظر بالنظر الدقيق لتجد شهادة هذا التحقيق، من كتاب الله رب العالمين.

ثم اعلم أن في آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة عظيمة إلى تزكية النفوس من دقائق الشرك واستئصال أسبابها، ولأجل ذلك رَغِبَ اللهُ فِي الْآيَةِ فِي تَحْصِيلِ كِمَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَاسْتِفْتَاكِ أَبْوَابِهَا، فإن أكثر الشرك قد جاء في الدنيا من باب إطرء الأنبياء والأولياء، وإن الذين حسبوا نبيهم وحيدا فريدا، ووحده لا شريك له كذات حضرة الكبرياء، فكان مآل أمرهم أنهم اتخذوه إلهًا بعد مدة، وهكذا فسدت قلوب النصارى من الإطرء والاعتداء. فالله

يشير في هذه الآية إلى هذه المفسدة والغواية، ويومئ إلى أن المنعمين من المرسلين والنبیین والمحدّثين إنما يُبعثون ليصطبغ الناس بصبغ تلك الكرام، لا أن يعبدوهم ويتخذوهم آلهة كالأصنام، فالغرض من إرسال تلك النفوس المهذّبة ذوي الصفات المطهرة، أن يكون كلُّ متّبع قريع تلك الصفات، لا قارع الجبهة على هذه الصّفاة. فأوماً الله في هذه الآية لأولي الفهم والدراية إلى أن كمالات النبيين ليست ككمالات رب العالمين، وأن الله أحدٌ صمدٌ وحيدٌ لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، وأما الأنبياء فليسوا كذلك، بل جعل الله لهم وارثين من المتّبعين الصادقين، فأمتهم وورثاؤهم.. يجدون ما وجد أنبياؤهم إن كانوا لهم متبعين. وإلى هذا أشار في قوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ\*﴾، فانظر كيف جعل الأمة أحبّاء الله بشرط اتّباعهم واقتدائهم بسيد المحبوبين.

وتدل آية ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أن تراث السابقين من المرسلين والصدّيقين حقٌّ واجبٌ غيرُ مجذوذ ومفروضٌ للاحقين من المؤمنين الصالحين إلى يوم الدين. وهم يرثون الأنبياء ويجدون ما وجدوا من إنعامات الله. وهذا هو الحق فلا تكن من الممترين.

وأما سرُّ ذلك التوارث ولِميّة المورث والوارث، فتنكشف من تلك الآية التي تُعلّم التوحيد، وتُعظّم الرب الوحيد، فإن الله المعين وأرحم

الراحمين، إذا علم دقائق التوحيد وبالع في التلقين، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فأراد عند هذا التعليم والتفهم أن يقطع عروق الشرك كلها فضلاً من لدنه ورحمة منه على أمة خاتم النبيين، لينجّي هذه الأمة من آفات ورذات على المتقدمين. فعلّمنا دعاءً مبرّةً وعطاءً وجعلنا منه من المستخلصين. فنحن ندعو بتعليمه، ونطلب منه بتفهمه، فرحين برّفده، مفصّحين بحمده، قائلين: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. ونحن نسأل الله لنا في هذا الدعاء كلّ ما أعطي للأنبياء من النعماء، ونسأله أن نثبت كالأنبياء على الصراط، ونتجاني عن الاشتطاط، وندخل معهم في مربع حظيرة القدس، متطهرين من كل أنواع الرجس، ومبادرين إلى ذرى ربّ العالمين. فلا يخفى أن الله جعلنا في هذا الدعاء كأظلال الأنبياء، وأورثنا وأعطانا المعلوم والمكتوم، والمعكوم والمختوم، ومن كل الآلاء والنعماء، فاحتملنا منها وفرنا، ورجعنا بما يسدّ فقرنا، وسالت أوديةً بقدرها، فأحللنا محلّ الفائزين. وهذا هو سرّ إرسال الأنبياء وبعث المرسلين والأصفياء، لنصبغ بصغ الكرام، وننتظم في سلك الالتئام، ونرث الأولين من المقرّبين المنعمين.

ومع ذلك قد جرت سنة الله أنه إذا أعطى عبداً كاملاً، وطفق الجهال يعبدونه ضلالاً، ويُشركونه بالرب الكريم عزةً وجلالاً، بل يحسبونه ربّاً فعلاً، فيخلق الله مثله، ويُسمّيه بتسميته، ويضع كمالته في فطرته، وكذلك يجعل لغيرته ليُبطل ما خطر في قلوب المشركين.

يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل وهم من المسؤولين. يجعل من يشاء كالدَّرِّ السائغ للاغتذاء، أو كالدُّرَّة البيضاء في اللمعان والصفاء، ويسوق إليه شربًا من التسنيم، ويضمّنه بالطيب العميم، حتى يُسفر عن مرأى وسيم، وأرج نسيم للناظرين.

فالحاصل أنه تعالى أشار في هذا الدعاء لطلاب الرشاد إلى رحمته العائمة والوداد، فكأنه قال إنني رحيم.. وسعت رحمتي كل شيء.. أجعل بعض العباد وارثًا لبعض من التفضل والعطاء، لأسدّ باب الشرك الذي يشيع من تخصيص الكمالات ببعض أفراد من الأصفياء. فهذا هو سرُّ هذا الدعاء، كأنه يُبشّر الناس بفيض عام، وعطاء شاملٍ لأنام، ويقول إني فيّاض وربّ العالمين، ولستُ كبخيل وضيعين. فاذكروا بيتَ فيضي وما ثمّ، فإن فيضي قد عمّ وتمّ، وإن صراطي صراط قد سُويّ ومُدّ، لكل من نهض وأعدت واستعدّ، وطلب كالمجاهدين. وهذه نكتة عظيمة في آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهي إزالة الشرك وسدُّ أبوابه، فالسلام على قوم استخلصوا من هذا الشرك وعلى من لديهم، وعلى كل من تبعهم من الطالبين الصادقين.

وفي الآية إشارة أخرى، وهي أن الصراط المستقيم هو النعمة العظمى، ورأس كل نعمة وباب كل ما يُعطى، ويتتاب العبد نعم الله منذ أُعطي له هذه الدولة الكبرى ومملك لا يبلى. ومن تأهّب لهذه النعمة ووفّق للثبات عليها، فقد دُعِيَ إلى كل أنواع الهدى، ورأى

العيشَ النضير والنور المنير بعد ليالي الدجى. نَجَّاهُ اللهُ من كل الهفوات قبل الفوات، وأدخله في زمر الثُّقاة بعد مُقَاناةِ العُصاة، وأراه سبل الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما حقيقة الصراط المستقيم، التي أُريدتْ في الدين القويم، فهي أن العبد إذا أَحَبَّ رَبَّهُ المَنَّان، وكان راضياً بمرضاته وفوّض إليه الروح والجنان، وأسلم وجهه لله الذي خلق الإنسان، وما دعا إلا إياه، وصافاه وناجاه، وسأله الرحمة والحنان، وتنبّه من غشيه، واستقام في مشيه، وخشي الرحمن، وشغفه الله حُبًّا وأعان، وقوى اليقين والإيمان، فمال العبد إلى ربه بكل قلبه، وإزبه وعقله، وجوارحه وأرضه وحقله، وأعرض عما سواه، وما بقي له إلا ربه وما تبع إلا هواه، وجاءه بقلب فارغ عن غيره، وما قصد إلا الله في سبل سيره، وتاب من كل إدلال واغترار بمال وذو مال، وحضر حضرة الرب كالمساكين، ووَدَّرَ العاجلة وألغاهما، وأحبَّ الآخرة وابتغاهما، وتوكَّلَ على الله، وكان لله، وفنى في الله، وسعى إلى الله كالعاشقين.. فهذا هو الصراط المستقيم الذي هو منتهى سير السالكين، ومقصد الطالبين العابدين. وهذا هو النور الذي لا يحلّ الرحمة إلا بعد حلولة، ولا يحصل الفلاح إلا بعد حصوله، وهذا هو المفتاح الذي يُنَاجِي السالكُ منه بذات الصدور، وتُفتَح عليه أبواب الفراسة، ويُجْعَل مُحدِّثًا من الله الغفور.

ومن ناجى رَبَّهُ ذاتَ بكرة بهذا الدعاء بالإخلاص وإمحاض النيّة، ورعاية شرائط الاتّقاء والوفاء، فلا شك أنه يحلّ محلّ الأصفياء

والأحباب والمقربين. ومن تأوّه آهة الثكلان في حضرة الربّ المنان، وطلب استجابة هذا الدعاء من الله الرحمن، خاشعا مبتهلا وعيناه تذرفان، فيستجاب دعاؤه ويكرم مثواه، ويُعطى له هدايه، وتُقوى له عقيدته بالدلائل المنيرة كالياقوت، ويُقوى له قلبه الذي كان أوهن من بيت العنكبوت، ويُوفّق لتوسعة الدَّرْع ودقائق الورع، فيُدعى إلى قريّ الروحانيين، ومطائب الربانيين. ويكون في كل حال غالبا على هوى مغلوب، ويقوده برعاية الشرع حيث يشاء كأشجع راكب على أطوع مركوب، ولا يبغى الدنيا ولا يتعنى لأجلها، ولا يسجد لعجلها، ويتولاه الله وهو يتولى الصالحين. وتكون نفسه مطمئنة ولا تبقى كالمبيد المضلّ، ولا تُحْمَلُ حَمْلَةَ الباز المِطْل، ويرى مقاصد سلوكه كالكرام، ولا تكون سُحبه كالجهام، بل يشرب كل حين من ماء معين.

وحتّى الله عباده على أن يسألوه إدامة ذلك المقام، والتثبّت عليه والوصول إلى هذا المرام، لأنه مقام رفيع، ومرام منيع، لا يحصل لأحد إلا بفضل ربه، لا يجهد نفسه، فلا بد من أن يضطر العبد لتحصيل هذه النعمة إلى حضرة العزة، ويسأله إنجاح هذه المنيّة بالقيام والركوع والسجدة والتمرغ على تُرْب المذلّة، باسطاً ذيل الراحة، ومتعرضاً للاستماحة، كالسائلين المضطرين.

وجملة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى رعاية حسن الآداب، والتأدب مع ربّ الأرباب، فإن للدعاء آداباً، ولا يعرفها إلا من كان تواباً، ومن لا يُيالي الآداب، فيغضب الله عليه إذا أصرّ على الغفلة وما

تاب، فلا يرى من دعائه إلا العقوبة والعذاب، فلأجل ذلك قلّ الفائزون في الدعاء، وكثر الهالكون لِحُجْب العُجْب والغفلة والرياء. وإن أكثر الناس لا يدعون إلا وهم مشركون، وإلى غير الله متوجهون، بل إلى زيد وبكر ينظرون، فالله لا يقبل دعاء المشركين، ويتركهم في بيدائهم تائبين، وإن حَبْوَة الله قريب من المنكسرين. وليس الداعي الذي ينظر إلى أطراف وأنحاء، ويُتَلَب بكل برق وضيء، ويريد أن يُتَرَع كَمِّه ولو بوسائل الأصنام، ويعلو كل ربة راغبا في حَبْوَة، ويغي معشوق المرام ولو بتوسل اللثام، والفاستين. بل الداعي الصادق هو الذي يتبتل إلى الله تبتيلا، ولا يسأل غيره فتيلا، ويجيء الله كالمنقطعين المستسلمين، ويكون إلى الله سيره، ولا يعبأ بمن هو غيره، ولو كان من الملوك والسلطين. والذي يكب على غيره، ولا يقصد الحق في سيره، فهو ليس من الداعين الموحّدين، بل كزاملة الشياطين، فلا ينظر الله إلى طلاوة كلماته، وينظر إلى خَبْثَة نِيَّاتِه، وإنما هو عند الله، مع حلاوة لسانه وحسن بيانه، كمثل روثٍ مفضَّض، أو كنيفٍ مبيّض، قد آمنت شفتاه وقلبه من الكافرين. فأولئك الذين غضب الله عليهم وهم المرادون من قوله: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. إنهم دُعُوا إلى سُبُل الحق فتركوها بعد رؤيتها، وتخيروا المفاصد بعد التنبه على خبثتها، وانطلقوا ذات الشمال وما انطلقوا ذات اليمين، وإنهم ركنوا إلى الميّن وما بقي إلا قيّد رُحْمَيْن، وهدموا الحق بعد ما كانوا عارفين.

وأما الضالون الذين أُشير إليهم في قوله **وَعَلَىٰ**: ﴿الضَّالِّينَ﴾ فهم الذين وجدوا طريقاً طامساً في ليل دامس، فزاعوا عن المحجّة قبل ظهور الحجّة، وقاموا على الباطل غافلين. وما كان مصباح يؤمّنهم العثار، أو يبيّن لهم الآثار، فسقطوا في هوة الضلال غير متعمدين. ولو كانوا من الداعين بدعاء: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لحفظهم ربّهم ولأراهم الدين القويم، ولنجّاهم من سبل الضلالة، ولهداهم إلى طرق الحق والحكمة والعدالة، ليجدوا الصراط غير ملومين. ولكنهم بادروا إلى الأهواء، وما دعوا ربّهم للاهتداء، وما كانوا خائفين، بل لَوّوا رؤوسهم مستكبرين. وسرت حُمياً العُجب فيهم، فرفضوا الحق لهفواتٍ خرجت من فيهم، ولفظتهم تعصباُهم إلى بوادي الهالكين.

فالحاصل أن دعاء: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُجبي الإنسان من كل أودٍ ويُظهر عليه الدين القويم، ويُخرجه من بيتٍ قفرٍ إلى رياض الثمر والرياحين. ومن زاد فيه إلحاحاً، زاده الله صلاحاً. والنبيون أنسوا منه أنسَ الرحمن، فما فارقوا الدعاء طُرْفَةً عينٍ إلى آخر الزمان. وما كان لأحد أن يكون غنياً عن هذه الدعوة، ولا معرضاً عن هذه المنية، نبياً أو كان من المرسلين. فإن مراتب الرشد والهداية، لا تتم أبداً بل هي إلى غير النهاية، ولا تبلغها أنظارُ الدراية، فلذلك علّم الله تعالى هذا الدعاء لعباده، وجعله مدار الصلاة ليتمتعوا برشاده، وليكتمل الناس به التوحيد، وليذكروا المواعيد، وليستخلصوا من شرك المشركين.

ومن كمالات هذا الدعاء أنه يعمّ كلّ مراتب الناس، وكلّ فرد من أفراد الأناس. وهو دعاء غير محدود لا حدّ له ولا انتهاءً، ولا غايٍ ولا أرجاءً، فطوبى للذين يداومون عليه بقلبٍ دامي الفُرح، وبروح صابرة على الجُرح، ونفسٍ مطمئنة كعباد الله العارفين. وإنه دعاء تضمّن كلّ خير وسلامة، وسداد واستقامة، وفيه بشارات من الله رب العالمين.

وقيل إن الطريق لا يُسمّى صراطاً عند قوم ذوي قلب ونور، حتى يتضمن خمسة أمور من أمور الدين وهي: (١) الاستقامة (٢) والإيصال إلى المقصود باليقين (٣) وقرب الطريق (٤) وسعته للمارّين (٥) وتعيينه طريقاً للمقصود في أعين السالكين. وهو تارة يُضاف إلى الله إذ هو شرّعه وهو سوّى سُبُلَه للماشين. وتارة يُضاف إلى العباد لكونهم أهل السلوك والمارّين عليها والعابرين.

والآن نرى أن تُوازن هذا الدعاء بالدعاء الذي علّمه المسيح في الإنجيل، ليتبين لكل مُنصف أيُّهما أشفى للعليل، وأدراً للغليل، وأرفع شأنًا، وأتمُّ برهانا، وأنفع للطالبيين. فاعلم أن في إنجيل لوقا قد كُتب في الإصحاح الحادي عشر أن المسيح علّم الدعاء هكذا (٢) \* "فقال لهم (يعني للحواريين): متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماوات كذلك على الأرضين. حُبِّزْنَا كَفَافَنَا أَعْطَانَا كُل يَوْمٍ وَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا،

\* أي الفقرة الثانية من الإصحاح المذكور. (الناشر)

لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يُذنب إلينا (يعني نغفر للمذنبين). ولا تُدخلنا في تجربة لكن نَجِّنَا من الشرير. " هذا دعاء علّم للمسيحيين.

فاعلم أنه دعاء يفترط في الصفات الربانية، وكذلك ما يحيط على مقاصد الفطرة الإنسانية، بل يزيد سَوْرَةَ الحسرة الروحانية، ويحرّك القوى لطلب الأهواء الفانية، والشهوات المتفانية، مع الدهول عن سعادات يوم الدين. ومن جملة جُمَلِهِ فقرةٌ.. أعني "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ"، فانظر فيها بعقلك وفهمك.. هل تجده حرِيًّا بشأن الأكمل الذي ليست له حالة منتظرة من حالات الكمال، ولا مرتبة مترقبة من مراتب التقديس والجلال؟ فإن المحامد والتقدسات كلها ثابتة لحضرة العزة، ولا يُنتظر شيء منها في الأزمنة الآتية، وهذا هو تعليم القرآن، وتلقين كلام الله الرحمن، كما مرّ كلامنا في هذا البيان. ومن أقبل على الفرقان المجيد، وفهمه وتدبّر ونظره بالنظر السديد، فينكشف عليه أن الفرقان قد أكمل في هذا الأمر البيان، وصرّح بأن الله كمالاً تامّاً، وكل كمالٍ ثابت له بالفعل وليس فيه كلام، وتجويز الحالة المنتظرة له جهلٌ وظلم واجترام. وأما الإنجيل فيجعل البارئ عز اسمه محتاجاً إلى الحالة المنتظرة، وضاجراً لكمالاتٍ مفقودة غير الموجودة، ولا يقبل وجود كمالٍ شجرته، بل يُظهر الأُمانيّ لإيناع ثمرته، وليس قائل استنارةٍ بده، بل ينتظر زمانَ علوّ قدره. كأن رَبَّ الإنجيل واجِمٌ من فقد المرادات، وعاجز عن إمضاء الإرادات. وكم من ليلةٍ باثماً ينتظر كمالاتٍ، ويتربّب تغَيُّرَ حالات، حتى يعس من أيام رشاده، وأقبل

على عباده ليتمنوا له حصول مراده، وليعقدوا الهمم لزوال كَمَدِهِ، وعلاج رَمَدِهِ. سبحان ربنا إن هذا إلا بُهتان مبین. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ما لِلْبَلْبَالِ وَرَبِّ ذِي الْجَلَالِ، رب العالمين؟

ثم دعاء المسيح دعاءً لا أثر فيه من غير التنزيه.. كأنه يقول إن الله منزّه عن الكذب والتمويه، ولكن لا توجد فيه کمالات أخرى، ولا من الصفات الثبوتية أثر أدنى، فإن التنزيه والتقديس من الصفات السلبية كما لا يخفى على ذوى المعرفة والبصيرة، وأما الصفات السلبية فهي لا تقوم مقام الإثبات كما ثبت عند الثقات. وأما ما علّمنا القرآن من الدعاء، فهو يشتمل على جميع صفات كاملة توجد في حضرة الكبرياء، ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، كيف أحاط صفات الله جُموعها، وتأبّط أصولها وفروعها؟ وأشار في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن الله ذات لا تُحصى صفاته، ولا تُعدّ کمالاته، وأشار في: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن وبل ربوبيته يعمّ السماوات والأرضين، والجسمانيين والروحانيين. وأشار في: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أن الرحمة بجميع أنواعها من الله القيوم القديم، والخلاق الكريم، وأشار في قوله: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ أن مالك المجازاة هو الله لا غيره من المخلوقين، وأن أبجر المجازاة جارية وهي تمرّ مرّ السحاب كل حين، وكل ما يرى عبداً من فضل الله وإحساناته بعد أعمالٍ صالحة، وصدقه وصدقائه، فإنما هو صنعة مجازاته. ففي هذه المحامد

إشارات رفيعة عالية، ودلالات لطيفة متعالية، على كل كمالٍ لحضرة الله جامع كلِّ جمال وجمال. ثم من المعلوم أن اللام في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق، فهو يشير إلى أن المحامد كلها لله بالاستحقاق.

وأما دعاء الإنجيل.. أعني "ليتقدس اسمك" فلا يشير إلى كمال، بل يخبر عن خطرات زوال، ويُظهر الأمان لتقدیس الرحمن، كأن التقديس ليس له بحاصل إلى هذا الآن. فما هذا الدعاء إلا من نوع الهديان، فإنك تعلم أن الله قُدّوسٌ من الأزل إلى الأبد، كما هو يليق بالأحد الصمد، فهو منزّه ومقدس من كل التدنسات، في جميع الأوقات، إلى أبد الآبدين، وليس محروما ومن المنتظرين.

ثم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ردُّ لطيف على الدهريين والملحدّين والطبيعيين الذين لا يؤمنون بصفات الله المجيد، ويقولون إنه كعلّة موجبة وليس بالمديّر المرید، ولا يوجد فيه إرادة كالمنعمين والمعطين. فكأنه يقول كيف لا تؤمنون برّب البريّة وتكفرون بربوبيته الإرادية، وهو الذي يُربّي العالمين، ويغمر بنواله، ويحفظ السماوات والأرض بقدرته وجلاله، ويعرف من أطاعه ومن عصا، فيغفر المعاصي أو يؤدّب بالعصا، ومن جاءه مطيعًا فله جنتان، وحقّت به فرحتان، فرحة تصيبه من اسم الرحيم، وأخرى من الرحمن القديم، فيجزى جزاءً أوفى من الله الأعلى، ويدخل في الفائزين.

ولا شك أن هذه الصفات تجعل الله مستحقاً للعبادة، معطيًا من عطايا السعادة، وأما التقديس وحده، كما دُكر في الإنجيل، فلا يُحرّك الروح للعبادة، بل يتركها كالنائم العليل.

وأما سرُّ هذا الترتيب الذي اختاره في الفاتحة ربُّنا المجيد ذو المجد والعزة، وذكر المحامد قبل ذكر الدعاء والعبادة، فاعلم أنه فعل ذلك ليدكّر عباده عظمة صفات البارئ ذي المجد والعلاء قبل الدعاء، ويشير إلى أنه هو المولى لا مُنعم إلا هو، ولا راحم إلا هو، ولا مُجازي إلا هو، ومنه يأتي كلُّ ما يأتي العباد من الآلاء والنعماء. وهذا الترتيب أحسنُ وللروح أنفع، فإنه يُظهرُ على السعيد من الله الرحيم، ويجعله مستعدًّا ومقبلاً على حضرة القدير الكريم، ويظهرُ منه تمؤجُّ تامٌّ في أرواح الطلبة، كما لا يخفى على أهل الدهاء. وأما تخصيص ذكر الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية في الدنيا والآخرة.. فلأجل أن هذه الصفات الأربعة أمّهاتٌ لجميع الصفات المؤثّرة المفيضة، ولا شك أنها محرّكات قويّة لقلوب الداعين.

ثم الإنجيل يذكر الله تعالى باسم الأب، والقرآن يذكره باسم الرب، وبينهما بون بعيد، ويعلمه من هو زكي وسعيد، وإن لم يعلمه من كان من الجاهلين. فإن لفظ الأب لفظٌ قد كثر استعماله في المخلوقين، فنقله إلى الرب تعالى فعلٌ فيه رائحة من الإشراف، وهو أقرب للإهلاك كما لا يخفى على المتدبرين.

ثم اعلم أن شكر المحسن المَنَّان أمرٌ معقول مسلّم عند ذوي العقول والعرفان، وإذا كان المحسن مع إحسانه العام ورحمه التام، خالق الأشياء وقيوم العالم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان في يده كل أمر الجزاء، فيضطر الإنسان طبعًا ليرجع إلى جنابه، ويتذلل على بابه، وينجو من تبابه، وإذا وجده فلا يتأوُّبُه عنده همٌّ، ولا يُفزعُه وهمٌّ، ويكون من المطمئنين. وهذا الأمر داخلٌ في فطرته، ومركوز في جبلته، ومتنقشٌ في مُهَجَّتِه، أنه يطلب صاحب هذه الصفات عند الترددات، ويؤمُّ به المخرج من المشكلات. والطالبون يتعاطون بذكره كأس المنافثة، ويقندحون لطلبه زناد المباحثة، ويجوبون البراري والفلوات، ويطلبون أثر ذلك الجامع للبركات، وقاضي الحاجات، ويبيتون مجاهدين. فبشر الله عباده أنه هو، وأنه مقصد ملامح عيونهم، ومقصود مرامي لحظهم، ومدار شؤونهم، فليطلبوه إن كانوا طالبين. ومن هذا المقام يظهر عظمة الفاتحة، وكونه من الله العلام، فإنها مملوءة من كل دواء، وعلاج لكل داء، ومنجى من كل بلاء، يقوي الضعفاء، ويبشّر الصلحاء، ويفتح أبواب الخير وسدده، ويعطي كل ذي رشد رشده، إلا الذي أحاط عليه غباوته وشقاوته فصار من الهالكين.

وانظر إلى كمال ترتيب الفاتحة من الله ذي الجلال والعزة، كيف قدّم ذكر اسم الله في العبارة، وجعله سرًّا مجملًا لتفاصيل الصفات الأربعة، وزين العبارة بكمال لطائف البلاغة، ثم أردفه صفة الربوبية العامة، فإن الله كان ككنز مخفي من أعين أهل المعرفة، فأول ما عرفه

كانت ربوبيته بكمال الحكمة والقدرة. ثم ذكر الله في الفاتحة رحمانية وبعدها رحيمية وبقاها مالكية، فوضعها طباقاً، وطبقها إشراقاً، وجعل بعضها فوق بعض وضعاً، كما كان مدارجها طبعا، وفيه آيات للمتدبرين. وعلم الله عباده أن يقدموا هذه المحامد بين يديه، ويسألوا الهداية والاستقامة بعد الثناء عليه، لتكون هذه الصفات وتصورها سبباً لفور عيون الروحانية، ووسيلة للحضور والذوق والمواجيد التعبدية، وليستجاب الدعاء بهذا الحضور، ويكون موجبا لأنواع السرور والنور والبعد عن المعاصي والفجور، لأن العبد إذا عرف أنه يعبد رباً أحاط ذاته بجميع أنواع المحامد، وهو قادر على أن يستجيب جميع أدعية المحامد، وعرف أنه ربٌ عظيم يوجد فيه جميع أنواع الربوبية، ورحمن كريم يوجد فيه جميع أقسام الرحمانية، ورحيم قديم يوجد فيه كل أصناف الرحيمية، ومالكٌ مجازاة يقدر على أن يجزي كل ذي مرتبة في الإخلاص على حسب المرتبة، فيجد ذاته عظيم الشأن في القدرة، ويجد عظمة صفاته خارجةً من الإحاطة، فيسعى إلى بابه، ويبادر إلى جنبه، قائلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيجمع في هذا الكلام انكسار العبد وجلال رب العالمين. فهذا الاجتماع المبارك يقطع عرق الاسترابة، ويكون سببا قريبا للاستجابة، فيكون الداعي من المقبولين، بل ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يقرهم غولٌ ولا تلبس، ولا يخيب فيهم مذنون، وترفع حُجُبهم فلا يُطوى دونهم مكنون، فيطلع على ما حَكَّ في صدور الناس، وعلى أمور سماوية متعالية عن طور العقل

والقياس، ويدخل في أهل السرّ والقرب والمكلمين. ويكون له الرب الكريم كالخيل الودود، والحِذَن المودود، بل أقرب من كل قريب، وأحبّ من كل حبيب، ويكون كلامه أحلى من كل شربة، وإهامه ألدّ من كل لذّة، ويدخل الله في القلب ويشغفه حُبًّا، وينظر إلى المحبّ فيجعل له لبًّا، ويصبّغه بصبغ المتبتّلين. ويأتيه منه البرهان، والنور واللمعان، والعلم والعرفان، فلا يسعه الكتمان، ولو اختفى في مغارة الأرضين، فسبحان ربّنا ربّ الأولين والآخرين.

واعلموا أيها الناظرون والعلماء المستبصرون أن عيسى عليه السلام علّم تمهيدًا قبل الدعاء، والقرآن علّم تمهيدًا قبل الدعاء، والفرق بينهما ظاهر على أهل الدهاء، فإن تمهيد القرآن يُحرّك الروح إلى عبادة الرحمن، ويحرّك العباد إلى أن ينتجعوا حضرته بإحماض النيّة وإخلاص الجنان، ويظهر عليهم أنه عينٌ كل رحمة وينبوغ جميع أنواع الحنان، ومخصوص باسم الرب والرحمن والرحيم والديان، فالذين يطلعون على هذه الصفات فلا يزايلون أهلها ولو سقطوا في فلوات الممات، بل يسعون إليه ويوطنون لديه بصدق القلب وصحّة النيّات، ويتراکضون إليه خيلهم ويسعون كالمشوق، ويضطرم فيهم هوى المعشوق، فلا يناقش أهواءً أخرى عند غلبة هوى رب العالمين. فثبت أن في تمهيد هذا الدعاء تحريكا عظيما للعابدين، فإن العبد إذا تدبّر في صفات جعلها الله مقدّمة لدعاء الفاتحة، وعلم أنها مشتملة على صفات كماله ونُوعت جلاله باستيفاء الإحاطة، ومحركة لأنواع الشوق والمحبة، وعلم

أن ربه مبدأ لجميع الفيوض، ومنبع لجميع الخيرات، ودافع لجميع الآفات، ومالك لكل أنواع المجازاة، منه يبدأ الخلق وإليه يرجع كل المخلوقات، وهو منزه عن العيوب والنقائص والسيئات، ومستجمع لسائر صفات الكمال وأنواع الحسنات، فلا شك أنه يحسبه مُنَجِّح جميع الحاجات، ومُنَجِّياً من سائر الموبقات، فيكابد في ابتغاء مرضاته كل المصائب، ولو قُتِلَ بالسمِّ الصائب، ولا يُعَجِّزه الكرب، ولا يدري ما اللغوب، ويجذبه المحبوب، ويعلم أنه هو المطلوب، ويبسّر له استقراء المسالك لتطلب مرضاة المالك، فيجاهد في سبيله ولو صار كالهالك، ولا يخشى هولَ بلاء، وينبri لكل ابتلاء، ولا يبقى له من دون حُبِّ الأذكار، ولا تستهويه الأفكار، وينزل من مطية الأهواء، ليمتطي أفراس الرضاء، ويضفر أزيمة الابتغاء، ليقطع المسافة النائية لحضرة الكبرياء، ويظلّ أبداً له مُدَانِيًا، ولا يجعل له ثانيا من الأحباء، ولا يعتور قلبه بين الشركاء، ويقول يا ربّ تسلّم قلبي، وتكفيني لجذبي وجلبي، ولن يُصِيبني حسن الآخرين.

هذه نتائج تمهيد دعاء الفاتحة، وأما تمهيد دعاء عيسى عليه السلام فقد عرفت حقيقته، وما فيه من الآفة، فلا حاجة إلى الإعادة، فتفكّر في إيماضي، وتندّم من زمان ماضي، وكُنْ من التائبين.

ثم بعد ذلك ننظر إلى دعاء علمه عيسى، وإلى دعاء علمه ربنا الأعلى، ليتبين ما هو الفرق بينهما لذي التّهي، ولينتفع به من كان من الصالحين.

فاعلم أن عيسى عليه السلام علّم دعاءً يتزرى عليه إنصافنا، أعني: "حُبْرُنَا كِفَانًا"، وأما القرآن فعافَ ذَكَرَ الحُبْزِ والماءِ في الدعاءِ، وعَلَّمَنَا طريقَ الرشدِ والاهتداءِ، وحثَّ على أن نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ونطلب منه الدين القويم، ونعوذ به من طرق المغضوب عليهم والضالين، وأشار إلى أن راحة الدنيا والآخرة تابعة لطلب الصراط وإخلاص الطاعة، فانظرْ إلى دعاء الإنجيل ودعاء القرآن من الرب الجليل، وكن من المنصفين.

وأما ما جاء في دعاء عيسى ترغيب في الاستغفار، فهو تأكيد لدعاء طلبِ الخبزِ كأهل الاضطراب، لعل الله يرحم ويعطي خبزاً كثيراً عند هذا الإقرار، فالاستغفار تضرُّعٌ لطلب الرغفان، وأصل الأمر هو طلب الخبز من الله المنان. ويثبت من هذا الدعاء أن أكثر أمم عيسى كانوا عشاق الذهب واللُّجَيْن، وهاجِرِي الحَقِّ للحجرين، وبائعِي الدين ببخسٍ من الدراهم، ومحتبِنِي خلاصةِ النضِّ وتاركِي ذيلِ الربِ الراحم، والعائِنِ عاصين. وحُبِّبَ إليهم أن يتخذوا الطمعِ شرعَةً، وحُبَّ الدنيا جُبعَةً. فاستشرفِ الأناجيلَ ليظهرَ عليك صدقُ ما قيل، واتقِ الربِ الجليل، ودعِ الأقاويل، ولا تحسبِ الحقَّ الصريحَ كالمعضلات، واستوضحِ مني المشكلات، لأخبرك عن أبناء العُصاة والمنجيات والمهلكات، ففتِّشِ الحقَّ قبل حُمومِ الحِمَام، وهجومِ الآلام، ونزعِ الروحِ وحصرِ الكلام، واعلم أن الخير كله في الإسلام، فطوبى للذي ضرب

الخيام في هذا المقام، وقوى يقينه بالإلهام ووحى الله العلام، وردّاه الله رداءً الإكرام.

إن المسلمين قوم سجايهم إعلاء كلمة التوحيد، وبذل النفس ابتغاء مرضاة الله الوحيد، وصلحاءهم يتأفّفون من الدنيا بل من الإمرة، ولا يتخبرون لأنفسهم إلا وجه رب ذي العزة، ولا يُشجّجهم إلا آن غفلة من ذكر الحضرة، يتوكلون عليه ويطلبون منه هداة، ولا يركنون إلى الخلق بل يبتغون حُباه، ويمشون في الأرض هوناً، ولا يبطشون جبارين. وشأهم إطالة الفكرة، وتحقيق الحق وتنقيح الحكمة. يراعون في الرياسة تهذب السياسة، وفي أوان الخصاصة والافتقار آداب التبصر والاصطبار. ولا تفاضل فيهم إلا بتفاضل التقوى والتقاة، ولا ربّ لهم إلا ربّ الكائنات. وكل ذلك أنوار حاصلة من الفاتحة كما لا يخفى على أهل الفطرة الصحيحة والتجربة. فالحق أن الفاتحة أحاطت كل علم ومعرفة، واشتملت على كلّ دقيقة حقّ وحكمة، وهي تجيب كل سائل، وتذيب كل عدو صائل، ويطعم كلّ نزيل إلى التضيّف مائل، ويسقي الواردين والصادرين. ولا شك أنها تزيل كل شك خيب، وتجيح كل هم شيب، وتعيد كلّ هُدوٍ تعيب، وتُحجّل كلّ خصيم نيب، ويبشر الطالبين. ولا معالج كمثل له لسمّ الذنوب وزيع القلوب، وهو الموصل إلى الحق واليقين.

وأما الهداية التي قد أمرنا لطلبها في الفاتحة فهو اقتداءً محامد ذات الله وصفاته الأربعة، وإلى هذا يشير اللام الذي موجود في: ﴿هُدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، ويعرفه من أعطاه الله الفهم السليم. ولا شك أن هذه الصفات أمّهات الصفات، وهي كافية لتطهير الناس من الهنات وأنواع السيئات، فلا يؤمن بها عبد إلا بعد أن يأخذ من كل صفة حظّه ويتخلق بأخلاق رب الكائنات. فمن استفاض منها فيُفْتَحَ عليه باب عظيم من معرفة الرب المحبوب، وتتجلى له عظمتُهُ، فتحصل الأمانة والتنفُّر من الذنوب، والسكينة والإخبات والامتثال الحقيقي والخشية والأنس والذوق والشوق والمواجيد الصحيحة والمحبة الذاتية المفنية المحرقة بإذن الله مُرَبِّي السالكين.

وهذه كلها ثمرات التدبير في مضامين الفاتحة، فإنها شجرة طيبة تؤتي كلّ حين أُكْلاً من المعرفة، ويروي من كأس الحق والحكمة، فمن فتح باب قلبه لقبول نورها، فيدخل فيه نورها، ويطلع على مستورها، ومن غلّق الباب فدعا ظلمته إليه بفعله، ورأى التباب ولحق بالهالكين. ثم اعلم أن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على أن السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين. وحقيقة العبادة الانصباعُ بصنع المعبود، وهو عند أهل الحق كمال السعود، فإن العبد لا يكون عبداً في الحقيقة عند ذوي العرفان، إلا بعد أن تصير صفائه أظلالاً صفات الرحمن، فمن أمارات العبودية أن تتولد فيه ربوبية كربوبية حضرة العزة، وكذلك الرحمانية والرحيمية وصفة المجازاة، أظلالاً لصفات الحضرة الأحدية. وهذا الصراط المستقيم الذي أمرنا لنطلبه، والشرعة التي أوصينا لنرقبها من كريم ذي الفضل المبين.

ثم لما كان المانع من تحصيل تلك الدرجات الرياء الذي يأكل الحسنة، والكبر الذي هو رأس السيئات، والضلال الذي يُبعد عن طرق السعادات، أشار إلى دواء هذه العلل المهلكات، رحمةً منه على الضعفاء المستعدين للخطيئات وترحمًا على السالكين، فأمر أن يقول الناس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الرياء، وأمر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمر أن يقولوا: ﴿أِهْدِنَا﴾ لِيُستخلصوا من الضلالات والأهواء. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثُّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿أِهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارة إلى طلب علمٍ من عنده وهدايةٍ من لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة. فحاصل الآيات أن أمر السلوك لا يُتمّ أبدًا ولا يكون وسيلةً للنجاة إلا بعد كمال الإخلاص وكمال الجهد وكمال فهم الهدايات، بل كلُّ خادم لا يكون صالحًا للخدمات إلا بعد تحقُّق هذه الصفات. مثلاً.. إن كان خادم مخلصًا وموصوفًا بأوصاف الأمانة والخلوص والعفة، ولكن كان من الكسالى واللوانين القاعدين، وكالضجعة النومة، لا من أهل السعي والجهد والجدّ والقوّة، فلا شكّ أنه كلُّ على مولاه، ولا يستطيع أن يتبع هداه ويكون من المطاوعين. وخادم آخر مخلص أمين، ومع ذلك مجاهد وليس بقاعد كالآخرين، ولكنه جهول لا يفهم هداياتِ مخدمه، ويُخطئ ذات مرارٍ كالضالين؛ فمن جهله ربما يجترئ على الممنوعات، ويوقع نفسه في المخاطر

والمحظورات، ويبعد عن مرضاة المولى من جهل جاذب من الجهلات، وربما يضيع نفائس المولى وذُرره وجواهره، من كمال جهله وحمقه وسوء فهمه، ويضع الأشياء في غير محلها من زيغ وهمه، فهذا الخادم أيضا لا يستطيع أن يستحصل مرضاة المخدم، ويُسقطه جهله كل مرة عن أعين مولاه فيبكي كالموقوم، وكذلك يعيش دائما كالملعون الملوم، ولا يكون من الممدوحين. بل يراه المولى كالمُنحوس، الذي لا يأتي بخير في سير، ويخرب بقعته ورحاله وأمواله في كل حين. وأما الخادم المبارك والعبد المتبرك الذي يُرضي مولاه، ولا يترك نكتة من هداه، ويسمع مرحباه، فهو الذي يجمع في نفسه هذه الثلاث سوياً، ولا يؤذي مولاه بخيانة وخذل، ولا يُطخِطِطِطه بكسل أو جهل، فيصير عبداً مرضياً. فهذه هي الأشرار الثلاثة للذين يسلكون سبل ربهم مسترشدين. وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى الشرط الأول، وإلى الشرط الثاني في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وإلى الثالث في ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾. فطوبى للذين جمعوا هذه الثلاث ورجعوا إلى ربهم كاملين، وتأدبوا مع ربهم بكل الأدب، وسلكوا بكل شريطة غير قاصرين. فأولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ودخلوا حظيرة القدس آمنين. ولما كانت هذه الشرائط أهم الأمور للذي قصد سبل النور، جعلها الله الحكيم من أجزاء الدعاء، ليتدبر السالك كالعقلاء، وليستبين سبيل الخائنين.

وهذا آخر ما أردنا في هذا الكتاب بفضل رب الأرباب، والحمد  
للّٰه رب العالمين. والسلام على سيدنا ورسولنا محمد خاتم النبيين. رَبِّ  
أَمْطِرْ مَطَرَ السَّوْءِ عَلَىٰ مَكْدُبِيهِ، واجعلنا من المنصورين. آمين.

## إتمام الحجّة على المكفرين من العلماء والمشايخ كلهم أجمعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فإني قد سمعتُ أنكم أيها الإخوان كَفَرْتُمُونِي، وكذَّبْتُمُونِي وحسبْتُمُونِي مفترِياً، وناضلتُمُونِي حتى نُثِلتَ الكنائسُ، وتبيَّنَ الحقُّ وظهر الأمرُ الكائنُ، ولكن ما ركدتُ زعازِعُكُمْ، وما أخذتُكم هيبَةُ الحقِّ، بل جُرِّتُمُ عن القصدِ جدًّا، وحسبتم الحقَّ شيئاً إِدًّا، وكنتم على قولكم من المصرِّين.

فلما ارتبتم في أمري وصرتم قرينَ الخنَّاسِ، ونَجَّيَ الوسواسُ، توجَّسْتُ ما هجَسَ في أفكاركم، وفطنت لما بطن من استنكاركم، فصنَّفتُ كتبًا قد حُسِّنَ ترتيبها، وصُفِّفَ فوجُ تعاجيبها، وجمعتُ على التحقيق صفاء الدَّرِّ، وسكَّ رَ الرِّحِيقِ، وقُنُوهُ العقيقِ، وكان فيها إزعاجُ أوهام المتوهمين، وعلاجُ نزغات الشياطين، وإصلاح نزوات المفسدين، وبيان إعنات الباغين، ومعاناة الطاغين، ومعاداة العادين، وحيل المحتالين، وسطوة الجائرين، وكيد الكائدين، مع كثير من الدلائل والبراهين. وكانت أسماؤها: (١) "فتح الإسلام"، (٢) و"توضيح المرام"، (٣) و"إزالة الأوهام"، (٤) و"مرآة كمالات الإسلام".

ولكنكم ما رأيتم وتعاميتم، وكفَّرتُم داعيَ الله وعصيتُم، وكنتم قوما عادين. وأصررتُم على إنكاركم حتى انتهى أمركم إلى تكفير المسلمين

ولعن المؤمنين، وكذبتهم أسرارًا لم تحيطوا بها، وعنفتهموني على ما لم تعلموا حقيقته، وكنتم تضحكون عليّ مرتاحين. وكم من دلوٍ أدليتُها إلى أنهاركم، لعلّي أجد قطرة من علمكم وأخباركم، ولكنها لم ترجع ببلّةٍ، ولم تجتلب نفعَ غلّةٍ، وما زادني سُؤلي منكم غيرَ يأسٍ وقنوطٍ ودُرْخمين. فاسترجعتُ على انقراض العلم ودروسه، وأقول أقماره وشموسه، وذرفتُ عيناى على حال قوم فيه تلك العلماء الذين هم معروق العظم، والمبغدون من أسرار الدين. ومع ذلك وجدتُ كل واحد منكم سادرًا في غلوائه، وسادلاً ثوبَ خيلائه، ومُفارقًا من أرجاء حياته، ومن أكابر المفسدين.

فلما انسرتُ جلبابُ حَفْرِكَم، وأماطت جذباتُ النفس خضراءَ قَفْرِكَم، وتواترت رِيحُ دَفْرِكَم، فهمتُ أن النصح لا يأخذ فيكم، ولا ينفَعكم قولُ ناصح كما لا ينفَع المتمردين. فتأوهتُ آهةَ الثكلان، وعيناى تَهْمَلان، ودعوتُ الله أيامًا، سَجَدًا وقيامًا، وخررتُ أمام حضرته، واستطرحت بين يديه، مبتغيًا إليه أذيال وسيلته، ورفعْتُ صرخي كعقيرة المتألمين.

فراى الله بُرْحائى، واعتدأ أعدائى، وقلّة أخلائى، وبشّرني بفتوحات وآيات وكرامات، ومَنَّ عليّ بتأييده المبين. فمنها ما وعدني ربي في عشيرتي الأقربين، أنهم كانوا يكذبون بآيات الله وكانوا بها يستهزئون، ويكفرون بالله ورسوله، وقالوا لا حاجة لنا إلى الله ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله خاتم النبيين. وقالوا لا نتقبل آية حتى يُرينا الله آية

في أنفسنا، وإنّا لا نؤمن بالفرقان، ولا نعلم ما الرسالة وما الإيمان، وإنّا من الكافرين. فدعوتُ ربي بالتضرع والابتهاج، ومددتُ إليه أيدي السؤال، فألهمني ربي وقال سأريهم آية من أنفسهم، وأخبرني وقال إنني سأجعل بنتًا من بناتهم آية لهم، فسماها وقال إنها ستجعل ثيبَةً، ويموت بعلمها وأبوها\* إلى ثلاث سنة من يوم النكاح، ثم نردها إليك بعد موتهما، ولا يكون أحدهما من العاصمين. وقال إنّا رادّوها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربك فعّال لما يريد. فقد ظهر أحد وعديده، ومات أبوها في وقت موعود، فكونوا لوعده الآخر من المنتظرين. فتأملوا في هذا تأملَ المنتقد، وانظروا بالمصباح المتقد، هل هو فعلاً الله تعالى أو كيد المفترين؟ وهل يجوز أن يستجيب الله دعاءً ملحد كافر كما يستجيب دعاء المقبولين؟ وكيف يخفى أمرُ رجل يُميئُ الله لأجل إعزازه وإجلاله رجُلين، ويجعله في أنبائه الغيبية من الصادقين؟ إن الله لا يُظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسولٍ الذي أرسله لإصلاح الخلق في زيّ الأنبياء والمحدّثين.

\* واسم بعلمها سلطان محمد ابن محمد بيك، ومحمد بيك ابن نظام الدين، واسم عم بعلمها محمود بيك، وهم سكان قرية منحوسة المسماة "فَتَى" في ضلع لاهور. واسم أبيها مرزا أحمد بيك، وتُوِّفِيَ بعد إلهامي هذا في ميعاد الإلهام. وأما بعلمها سلطان محمد فحَيٌّ، وبقي من ميعاد موته قريباً من السنة. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. منه. ١ صفر سنة ١٣١٠هـ.

ومنها ما وعدني ربي واستجاب دعائي في رجل مفسد عدو الله ورسوله المسمى ليكهرام الفشاوري، وأخبرني أنه من الهالكين. إنه كان يسب نبي الله ويتكلم في شأنه بكلمات خبيثة، فدعوت عليه، فبشّرني ربي بموته في ستّ سنة، إن في ذلك لآية للطالبيين.

ومنها ما وعدني ربي إذ جادلني رجل من المنتصرين الذي اسمه عبد الله آتهم العنبرسري، إنه كان أراد أن يشدّ جبائر الحيل على دين النصارى، ويواري سوءته، فصال على الإسلام وكان من المتشدددين. وباحثني في حلقة مغتصّة بالأنام، مختصّة بالزحام، وزخرف مكائده لإرضاء الكافرين. فثنيته إليه عناني، وأبثته من معارف بياني، وجعلته من المفحّمين. فما وجم من قلة الحياء، وكان يجمّح في جهلاته ويسدّر في الغلواء. وامتدّت المباحثة إلى نصف الشهر، وكنا نغدو إليه بعد صلاة الفجر، ونرجع في وقت الهجير عند اشتداد حرّ الظهيرة، وتركنا الاستراحة كالمجاهدين. فبينما أنا في فكر لأجل ظفر الإسلام وإفحام اللثام، فإذا بشّرني ربي بعد دعوتي بموته إلى خمسة عشر أشهر من يوم خاتمة البحث، فاستيقظت وكنت من المطمئنين. ثم جئناه واجتمعت الحلقة، وحضر الخاص والعام، وأحضرت الدواة والأقلام، فما لبثت أن قعدت وأنبأت من كل ما أخبرت من رب الأرباب، وأمليته في الكتاب، ثم ارتحلت من دار غربتي، وحسبت ذلك البحث أفضل قُربتي، وحسبت ذلك النبأ نعمة من نعماء رب العالمين.

فتفكروا عافاكم الله ولا تعجلوا في تكفيري، ولا تسبُّوا ولا تقذِّفوا،  
وإن كنتم في شك فانتظروا هذه الأنباء المذكورة، فإنها معيار لصدقي  
وكذبي. وإن لم تنتهوا فقد تمَّتْ عليكم حجَّة الله وحجَّتِي، ولن تضروني  
شيئاً، وستُسألون عند مالك يوم الدين. وإن تتوبوا وتتقوا فالله لا  
يُضيع أجر المحسنين.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم سيّد الرسل والأنبياء، أصفى الأصفياء، محمد خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فيقول العبد الضعيف المفتقر إلى الله القوي الأمين، نور الدين.. عصمه الله من الآفات، وأدخله في زُمرَة الآمنين، وجعله كاسمه: **نور الدين**.. إني قد كنتُ هَجْتُ مُذْ رأيتُ المفاسد من أهل الزمان، وشاهدت تغير الأديان، أن أرزق رؤية رجل يجدد هذا الدين، ويرجم الشياطين. وكنت أرجو هذه المنية لأن الله قد بشر المؤمنين في كتاب مبين، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾\* إلى آخر ما قال رب العالمين. وكذا قال الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهو الصدوق الأمين عليه السلام: "إن الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"، فكنْتُ لرحمته من المنتظرين. فقصدتُ لهذه البُغية بيت الله مهبط أنوار الحق واليقين، فكنْتُ أجوبُ البراري، وأقطع الصحاري، وأستقري عبداً من العباد الربانيين.

فتوسَّمتُ في البقعة المباركة المكرمة شياخي الشيخ السيد حسين المهاجر الورع الزاهد التقوي، وشياخي الشيخ محمد الخزرجي الأنصاري،

وفي طابة الطيبة تشرفتُ بلقاء شيخني وسيدي ومولائي الشيخ عبد الغني المجددي الأحمدي، وكلهم كانوا، كما أظن، من المتّقين، جزاهم الله عني أحسن الجزاء، آمين يا رب العالمين. وهؤلاء الشيوخ - رحمهم الله - كانوا على أعلى المراتب من التقوى والعلم، ولكن لم يكونوا على أعداء الدين من القائمين، ولا لشبهاهم مستأصلين، بل في الزوايا متعبدين، وبمناجاة ربهم مُتخلّين.

وما رأيت في العلماء من توجّه إلى دعوة النصرى، والآرية، والبراهمة، والدهريّة، والفلاسفة، والمعتزلة، وأمثالهم من الفرق المضلّين. بل رأيتُ في الهند ما ينيف على تسع مئة ألف من الطلبة رفضوا العلوم الدينية، واختاروا عليها العلوم الإنكليزية، والألسنة الأوربية، واتخذوا بطانةً من دون المؤمنين، وأزِيدَ من ستين ألف رسالة طُبعت في مقابلة الإسلام والمسلمين. هذه المصيبة، وعليها نسمع المشائخ وأتباعهم أنهم يقولون إن الدعوة والمناظرات خلاف دَيْدِنِ أهل الكمال وأصحاب اليقين. وعُلماءونا.. إلا من شاء الله.. ما يعلمون ما يُفعل بالدين وأهل الدين. والمتكلمون منتهى تدقيقاتهم مسألة إمكان كذب البارئ - نعوذ بالله - وامتناعه لا لتبكي الكافرين وردّ مكائد المعاندين. ومع هذه الشكوى، فنشكر مساعي الشيخ الأجلّ وأستاذه الأكمل رحمة الله الهندي المكي، والدكتور وزير خان، رحمهما الله تعالى، والسيد الإمام أبي المنصور الدهلوي، والزكي الفطن السيد محمد علي الكانفوري، والسيد اللبيب مصنّف "تنزيه القرآن"، وأمثالهم

سَلَّمهم الله، فشكر الله سعيهم وهو خير الشاكرين. لكن جهادهم مع شعبة واحدة من مخالفى الإسلام، ثم ما كان بالآيات السماوية والبشارات الإلهية.

وكنْتُ حريصًا على رؤية رَجُلٍ.. أي رَجُلٍ واحدٍ من أفراد الدهر قائمٍ فى المضمار لتأييد الدين وإفحام المخاصمين. فرجعتُ إلى الوطن وأنا كالهائم الوهَّان أخبطُ ورقَ نهارى بعضا تسيارى، ومن المتعطشين الطالبين.

فبينما أنتظر النداء من الصادقين.. إذ جاءني بشارة من جناب السيد الأجلِّ، والعالم الخبر الأبلِّ، مجدّد المئة، ومهدي الزمان، ومسيح الدوران، مؤلّف "البراهين". فجئتُه لأنظر حقيقة الحال، فنفرتُ أنه هو الموعود الحَكَم العَدَل، وأنه الذى انتدبه الله لتجديد الدين، فقال لَبَّيْكَ يا إله العالمين. فسجدتُ لله شكرًا على هذه المِنَّة العظيمة، لك الحمد والشكر والنعمة يا أرحم الراحمين.

ثم اخترتُ محبَّته، واستحسنْتُ بيعته، حتى غمرتني رأفته، وغشيتني مودَّته، وصرتُ فى حبه من المشغوفين. فأثرته على طارفي وتالدي، بل على نفسى وأهلى ووالدى، وأعزَّتى الأقربين. أصبى قلبى علمه وعرفانه، فشكرًا لمن أتاح لي لُقْيانه. ومن سعادة جدِّي أنى أثرته على العالمين، فشمرتُ فى خدمته تشميرَ من لا يألو فى ميدانٍ من الميادين، فالحمد لله الذى أحسن إليَّ وهو خير المحسنين.

فَوَاللَّهِ مُذْ لَاقَيْتَهُ زَادِنِي الْهُدَى  
وَكَمْ مِنْ عَوِيصٍ مُشْكَلٍ غَيْرٍ وَاضِحٍ  
وَمَا إِنَّ رَأَيْنَا مِثْلَهُ بَطْلًا بَدَا  
وَأَكْفَرَهُ قَوْمٌ جَهُولٌ وَظَالِمٌ  
وَهَذَا عَلَى الْإِسْلَامِ إِحْدَى الْمَصَائِبِ  
أَفِي الْقَوْمِ تُمَدِّحُ يَا مُكْفِرٌ صَادِقٍ  
نَبَذْتَ هُدَى الْعِرْفَانِ جَهْلًا وَبَعْدَهُ  
وَإِنْ كُنْتَ تَسْعَى الْيَوْمَ فِي الْأَرْضِ مَفْسِدًا  
وَلَوْ قَبْلَ إِكْفَارٍ تَفَكَّرْتَ سَاعَةً  
قَصَدْتَ لَتَرْضَى الْقَوْمَ مِنْ سُوءِ نِيَّةٍ  
وَمَا فِي يَدَيْكَ لَتُبْعِدَنَّ مَقْرَبًا  
وَقَدْ كُنْتَ تَقْبَلُ صَدَقَةَ وَكُتِبَتْهُ  
أَلَا إِنَّهُ قَدْ فَاقَ صَدَقًا خَوَاصِّكُمْ  
أَتُكْفِرُ يَا غَوْلَ الْبَرَارِيِّ مِثْلَهُ  
وَتَعَسَا لَكُمْ يَا زُمْرَ شَيْخٍ مَزُورٍ  
لَهُ كُتِبَ السَّبُّ وَالشَّتْمُ حَشْوُهَا  
أَضَلَّ كَثِيرًا مِنْ ضَلَالَاتٍ وَهَمَّهُ  
وَمَا إِنَّ أَرَى فِيهِ الْفَضِيلَةَ خَاصَةً  
يُشِيعُ رِسَالَاتٍ لِبَعْغِي ثَرَائِدٍ  
وَمَا كَانَ لِي بَغْضٌ بِهِ وَعَدَاوَةٌ  
فَخُذْ يَا إِلَهِي رَأْسَ كُلِّ مُعَانِدٍ

وَعَرَفْتُ مِنْ تَفْهِيمِ أَحْمَدَ أَحْمَدًا  
أَنَارَ عَلَيَّ فَصَرْتُ مِنْهُ مُسَهِّدًا  
وَمَا إِنَّ رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَاتِلَ الْعِدَا  
وَكَذَّبَهُ مَنْ كَانَ فَظًّا وَمُلْحِدًا  
يُكْفِرُ مَنْ جَاءَ النَّبِيَّ مُؤَيَّدًا  
أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ سَمَّوكَ مُفْنِدًا  
أَخَذْتَ طَرِيقًا قَدْ دَعَاكَ إِلَى الزُّدَى  
فَتُحْرَقُ فِي يَوْمِ النَّشُورِ مُزَوَّدًا  
لَعَمْرِي هُدَيْتُ وَمَا أَبَيْتَ تَبْدُدًا  
وَكَانَ رِضَى الْبَارِيِّ أُمَّمٌ وَأَوْكِدًا  
إِلَهَ الْبَرَايَا قَدْ دَنَاهُ وَأَحْمَدًا  
فَمِثْلُكَ كُفْرًا مَا رَأَيْنَا ضَفْنَدًا  
وَدَائِي رُؤُوسَ الصَّائِلِينَ وَأَرْجَدًا  
أَتَلَعْنُ مَقْبُولًا يَحِبُّ مُحَمَّدًا  
هَلَكْتُمْ وَأَرْدَاكُمْ وَعَقَى وَأَفْسَدًا  
شَرِيرٌ وَيَسْتَقْرِي الشَّرَّورَ تَعْمُدًا  
وَبَاعَدَ مِنْ حَقِّ مَبِينٍ وَأَبْعَدًا  
نَعَمْ فِي طَرِيقِ الْمَفْسِدِينَ تَفَرَّدَا  
وَلِيَجْلِبَ الْحُمُقَى إِلَيْهَا وَيُرْفِدَا  
وَفِي اللَّهِ عَادِيْنَاهُ إِذْ ذَمَّ أَحْمَدًا  
كَأَخْذِكَ مَنْ عَادَى وَلِيًّا وَشَدَّدَا

لتكون آيات لكلّ مكذّب  
ويا طالبَ العرفانِ حُذْ ذَيلَ نوره  
حريصٍ على سبِّ مُباهٍ تحسُّدا  
وفي الدين أسرارٌ وسبيلٌ خفيّة  
ودعْ كلَّ ذي قول بقول المهتدي  
وآخر دعوانا أن الحمد كله  
يلاحظها بصرٌ يلاقي إثمدا  
لربِّ رحيم بعث فينا مجددا

قد تمت هذه القصائد، وقد أحببنا أن نلحقها ببعض قصائد بليغة  
فصيحة، من كلام الأديب المفلق السيد محمد سعيد الشامي  
الطرابلسي - سلّمه الله تعالى - قد نظمها ومدح بها سيّدنا ومرشدنا  
المشار إليه فيها، وهجا الفرقة النصرانية ومن خالفه.

خضعت لرفعةٍ مجدك العظماءُ  
ورنت إليك مع الوقار وسلّمت  
ولك الأمان من الزمان وما على  
قد حُزّت فضلاً من إهلك فوق ما  
وحويت علماً ليس فيه مشاركُ  
يا مَنْ إذا نزل الوفودُ ببابه  
أنت الذي وعد الرسولُ وحبّذا  
أنت الذي إن حلَّ جذبٌ في الملا  
طوبى لعبدٍ قد رضا بك ملجأً  
وطوبى لقومٍ أنت بيضةٌ ملّكهم  
وأنتك تسحب ذيلها العلياءُ  
وتفاخرت بمدحك الشعراءُ  
من لادّ فيك من الزمان عناءُ  
قد حازه من قبلك الآباءُ  
لك في الأنام وللإله عطاءُ  
أغناهم عمّا إليه جاءوا  
وعدّ به قد صحّت الأنباءُ  
ودعوت ربّك حلّه الإرواءُ  
إذ لا يجيب وراحتاه ملاءُ  
وكذا العصر أنت فيه ذكاءُ

طوبى لدارٍ أنت فيها قاطنٌ  
يا أيها الحَبِيزُ الأجلّ وَمَنْ به  
إِنِّي لأرغب أن أرى لك سيدي  
يا واحدا في ذاته وصفاته  
وبك استقامت للعلا أركانهُ  
أَيَّدتَ دينَ الحقِّ يا عَلَمَ الهدى  
ورفعتَ للإسلام حصنًا باذخًا  
ونكَّأتَ أهلَ الشِّركِ حتى أصبحوا  
وسلَّتَ سيقًا للشريعة بينهم  
ما زلتَ تضرب فيهم حتى انتشوا  
جاؤوا لينتصروا عليك وما ذرّوا  
صألوا وراؤموا أن يفوزوا بالذي  
وتفرقت أحزابهم لما رأوا  
ما ضرَّهم لو آمنوا إذ جئتهم  
هيهات أن يصلوا إلى ما أمَّلوا  
بشَّ الذي قصدوا إليه من الردى  
ضلُّوا وقالوا إنَّ عيسى لم يمُتْ  
قد مات عيسى مثلَ موتةِ أمِّه  
مَنْ كان ينكر ذا فليس بمؤمن  
إنَّ كان عيسى يأتينَّ بُعيدَ ما

فلقد بدت في سَوْحها الزَّهراءُ  
يرجى المراد وتُكشَف الضَّراءُ  
وجهاً عليه من الجمال رِداءُ  
قد حققت بوجودك الأشياءُ  
وتزيَّنت بمقامك الجوزاءُ  
وأبنتَ طرقًا طَمَّها الجهلاءُ  
تفنى الدهورُ وما يليه فناءُ  
في غيِّهم قد مَسَّهم إقواءُ  
لما رأوه أَكَبَّهم أعباءُ  
مِنْ وَقَعِه فكأنهم أهباءُ  
أن الإله عليك منه لواءُ  
قصدوا إليه فصَدَّهم إعياءُ  
أَسَدًا هَصُورًا كَفَّه عَضْبَاءُ  
بل كذبوك فخابت الآراءُ  
حتى تَلينَ وتُنبِت الصَّمَاءُ  
وتنزلت بقلوبهم بأَسَاءُ  
بل في السماء وأين منه سماءُ  
والموتُ حقُّ ليس فيه خفاءُ  
فيما أرى والرُبُّ منه براءُ  
ذاق الحِمَامَ فهكذا القدماتُ

لا مرحبًا بهم ولا أهلاً ولا  
 كلا ولا برحت صباحًا مع مسا  
 قوم كأنهم الذياب إذا عوت  
 لا يقربون من الحلال وعندهم  
 وإلى الحرام شواخصٌ أبصارهم  
 يا أيها البحر الذي ما مثله  
 بل أيها الغيث الذي أنواؤه  
 حيّاك ربّي كلما هبت صبا  
 أو ما ترنّم في مديحك مُنشِدُ

السيد محمد سعيد الشامي

### وله رحمه الله تعالى

حمدٌ غزيرٌ صادقٌ الإذعانِ  
 فردٌ كثيرٌ العفو والإحسانِ  
 إذ قد أُبيرت دولةُ الصلبانِ  
 في الحرب إذ يعدو بحدِّ سنانِ  
 كالليث صادفَ رَعْلَةَ الضَّبَعانِ  
 أسدٌ هزبرٌ ثابتٌ الجنانِ  
 بتلّ الشكوكِ بقاطعِ البرهانِ  
 لله ربّ دائمٍ الغفرانِ  
 مُنشِي الأنامِ ومُنزِلِ الفرقانِ  
 من وَقَعِ شهمِ حاذِقِ الطعانِ  
 مُحِيّ المنونِ ومُوقِدِ النيرانِ  
 في يومٍ مَحْمَصَةٍ على أسوانِ  
 لم يكثرثُ بكثرةِ الفرسانِ  
 ودلائلٍ قرّث بها العينانِ

حَبْرٌ أَمَدَّ مَوَائِدَ العِرْفَانِ وَأَسَحَّ أَبْجُرَهَا عَلَى الظَّمَانِ  
 رَدَعَ الخِصُومَ بِقُدْرَةِ المَنَانِ يَدْعُونَ وَيَلَاءُ نُكَّسَ الأَذْقَانِ  
 يَا أَيُّهَا المَوْلَى العَظِيمُ الشَّانِ هِيهَاتَ عَيْنِي أَنْ تَرَى لَكَ ثَانِ  
 إِذْ كُنْتَ عَلَمًا فَخَرَ كُلَّ زَمَانِ وَلَقَدْ تَنَاقَلَ فَضْلَكَ الثَّقَلَانِ  
 فَانَعَمَ وَدُمَ بِالعِزِّ والأَمَانِ مَا هَزَّ رِيحَ مُيِّدِ الأَغْصَانِ

ولهُ رحمه الله تعالى متغزلا وممدحا لجناب المشار إليه رحمه الله

أَلَا لَا أَرَى مَن أَحَبَّ بَعِينِي وَعَدَوِّي أَرَاهُ بَكَرَةً وَأَصِيلَا  
 يَا لِقُومِي وَيَا لَصَحْبِي الحُقُوفِي وَأَدْرِكُونِي فَقَدْ غَدَوْتُ قَتِيلَا  
 مَن لِحَاطِظِ رَاشِقَاتِ بَقْلِي أَسْهُمًا عَنْهُ لَا تَرَى تَحْوِيلَا  
 وَخُدُودِ أَيْنَعَ الشَّقِيقُ عَلَيْهَا وَرُضَابِ مِزَاجِهِ زَنْجَبِيلَا  
 ظَبْيَةٌ مَن قَادِيَانِ سَبْتَنِي إِذْ رَنْتَ رَنُوءَهُ وَطَرَفًا كَحِيلَا  
 حَبْدًا قَدُّهَا إِذَا يَتَشَنَّى كَتَشَّتِي الغُصُونِ ذُلَّتْ تَذَلِيلَا  
 مَا الشَّمْسُ عِنْدِي وَلَا البَدْرُ فَاعْلَمْ فِي حُلَاهَا أَرَى لَهَا تَمَثِيلَا  
 كَلَا وَلَسْتُ فِي الجَنَانِ بَرَاضٍ بِسَوَاهَا إِنْ أَرَاهَا بَدِيلَا  
 وَلَقَدْ أَرَانِي بَعْدَ مَا كُنْتُ لَيْثًا مُصْمَمِلًا عَمَّتْهَا حَنْشَلِيلَا  
 يَرَهَبُ الأَحْمَسُ المَدَجَّجُ صَوْتِي وَبَعِينِي يَرَى العَزِيزُ ذَلِيلَا  
 تَسْحَبُ النَّمْلَةُ، يَا فَدَيْتُكَ، جَسْمِي وَابْنُ آوِي يَدْعُو عَلَيَّ العَوِيلَا  
 غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ جُنُنْتُ غَرَامًا فِي هَوَاهَا لِأَصْبِرَنَّ جَمِيلَا

فَعَسَى الْهُمَامُ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَطَايَا      قَدْ تَخَطَّتْ تَلَاثَةً وَسَهولًا  
خَيْرُ عَبْدٍ يَرَاهُ أَشْرَفُ قَوْمٍ      مَنْ لِعَيْسَى الْمَسِيحِ أَضْحَى مَثِيلًا  
إِنْ يَرَانِي وَيَكْشِفُ مَا بِي      عَنْ قَرِيبٍ قَبْلَ أَنْوِي الرَّحِيلَا

وقال - رحمه الله تعالى - مقرّظاً على هذا الكتاب المبارك  
ومادحاً للجناب الأقدس نفع الله به المسلمين

كِتَابٌ حَكَى زَهَرَ الرَّبِيعَ نَضَارَةً      وَحَوَى مِنْ النِّظْمِ الْبَدِيعَ طُرُوسًا  
يُغْنِي الْأَدِيبَ فَكَاهَةً وَمَسْرَةً      عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَبِيبَ جَلِيسًا  
قَدْ صَاغَهُ الْحَبْرُ الَّذِي أَنْوَارُهُ      تَدْعُ اللَّيَالِ إِذَا دَجِينَ شُمُوسًا  
لِلَّهِ دَرُّ الْقَادِيَانِ فَإِنَّمَا      كَالشَّمَامِ حَيْثُ أَقَامَ فِيهَا عَيْسَى  
بَلَدٌ بِمَا غِيثُ الْمَوَاهِبِ قَدْ هَمَى      وَتَقَدَّسَتْ أَرْجَاؤُهَا تَقْدِيسًا  
فَكَأَنَّمَا هِيَ إِبِلِيَاءٌ إِذْ حَوَتْ      جِبَالًا حَبَاهُ رَبُّهُ النَّامُوسَا  
قَرْمٌ تَقَاصَرَ عَنْ ثَنَاءِ خِصَالِهِ      فُوهُ الزَّمَانِ وَلَا يَرَى تَدْلِيسَا  
بِحُرِّ تَلَاظَمٍ بِالْمَعَارِفِ مَوْجُهُ      شَهْمٌ عَلَا زُتَبَ الْكَمَالِ عَرُوسَا

وقال مقرّظاً عليه أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

أما بعد.. فإني قد سرّحتُ طرفي في مضمّار حَلْبَةِ البِيان، وأجَلْتُ  
 قِداح فكري في حديقة بستان الأذهان، أعني العُجالة التي ابتكرها  
 نتيجة أفكار الزمان، ومحطُّ رجال العرفان، نابغةُ دهره، وسحبانُ قطره،  
 سيّدنا ومرشدنا مسيح الزمان، مركزُ العز والأمان، الشيخُ العالم  
 العلامة، الحَبْرُ الفاضل الجُهْد الفهامة، سَمِيٌّ مَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الفرقان،  
 سيّدٌ وُلِدَ عدنان، عليه الصلاة والسلام، أحمدُ الفِعال والخِصال، أدام  
 الله عليه سوابغ الإجلال ومنابع الأفضال، ولا زال مرفوع الجنب مقبَل  
 الأعتاب، فوجدتها القِدْح المَعْلَى، والدُّرّة اليتيمة، والروضة الأريضة،  
 والحديقة المثمرة، وكيف لا ومُوجدها حَبْرٌ يشار إليه بالأنامل، وبحرٌّ  
 ليس له من ساحل، فكأما قد عَنَيْتُهُ بقولي إذ كان به أخرى، وبسِرّه  
 أدري.

هيئات يوجد في الزمان نظيره      ولقد حلفتُ بأنه لا يوجد  
 بالله ربِّ الراقصات إلى مَنى      والقائمين ظلّامهم يتهجّدوا

فله دَرُه، ولا فُضَّ فُوه، ولا عدمه بنوه، إذ قد أحسنَ وأجادَ،  
 وبألغ فيما به أفاد.

تَمَّتْ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أطلعَ شمسَ الهداية في قلوب أهل العرفان، وأطمعَ نفوس أهل الغواية في ورود منهل الغفران، وأنبعَ ينابيع المكارم ليردَ على زلاها كلُّ ظمآن، ورفعَ منابر التقديس والتحميد وخفضَ أعلام البهتان. والصلاة والسلام على سيد وُلدِ عدنان، سيدنا ونبينا محمدٍ الذي أتى بالبيان، وعلى آله وأصحابه وأزواجه في كل وقت وأوان. أما بعد.. فيقول أسيرُ ذنبه، وفقير عفو ربه المنان، محمد الطرابلسي الشامي الشهير بحميدان، إنني لما دخلتُ الهند وبلدة قاديان، واجتمعتُ بحَبْرها بل وحبْر جميع البلدان، مولانا وسيدنا الشيخ ميرزا غلام أحمد صاحب الوقت ومسيح الزمان، واطلعتُ على هذا الكتاب.. فإذا كتاب إذا ما لمحتُه استملحتُه، وإني أراه قد انتضى الحجج، لإزعاج المخالفين وإفحام المخاصمين ذوي العوج، أعطى كلَّ ذي سهم سهمه، وما أخطأ سهمه. يدعو الضالين إلى الصلاح، وما يدعُ نُكتةً من لوازم الفلاح، وجب على المسلمين إطاعة أمره، وقد أُشربَ قلبي أنه من الصادقين، والله حسيب، وهو يعلم سر الناس وجهرهم، ويعلم ما في السماوات والأرضين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## رؤيا غريبة

اعلموا أني قمتُ في عجز الليل على العادة لصلاة الفجر، ثم بعد أدائها غلبتني عيني بالنوم، فرأيتُ كأن مرشدنا - رحمه الله تعالى - قد صنع طعامًا كثيرًا فاخرا، ودعا إليه جمًّا غفيرا من الخلق، من بلاد مختلفة عربًا وعجمًا، ثم بسط سُفْرًا وموائدَ عديدة، وجلس عليها أولئك القوم.. عشرة عشرة.. وأنا معهم في أхраهم، فأكلوا وقاموا وبقيتُ منفردا. فداخلني الخجلُ وقمتُ غيرَ شبع. فنظرتُ عن يميني مكانا مملوءًا من المرق، فصرتُ أُعْبُ منه حتى اكتفيت. ثم انتهيت وانتهى الناس إلى مكان المذكور، وقد فُرش بأنواع القُرُش النفيسة، فجلسوا بحسب مراتبهم، وفيهم العلماء والأمرء وغيرهم. فقام رجل منهم يعظ الناس على طريقة الفقهاء الحنفية، وكأنه نسب قولاً إلى الأولياء.. فقال أحد أهل المحفل: "لعن الله آباء الأولياء إن كانوا يقولون بهذا". فقلت: لا.. بل أباك، لم تكذب أولياء الله. وجرى ذكرُ الإمام الجوهري فسبَّه رجلٌ منهم، فغضبتُ عليه وقلت: أتشتم إمام الدنيا في اللغات العربية ولا تخاف من الله تعالى؟" ورأيتُ كأنَّ المذكورَ - أيده الله تعالى - قد أخذ بيدي، وسلك بي منفردا طريقا مستقيما محفوفًا بالأزهار والأشجار، وقال لي: إني قد أردتُ الإقامةَ إما في الشام أو في أمرتسر، فما رأيك في هذا؟ فقلت له: إن رأيي أن تقيم في الشام، فإنها أرض الله ومَعْقِل المسلمين، وبها تتأهل وتبني لك بيتًا، وتتخذ

بستاناً وأرضاً، وإن أقمتَ معي في مكاني حيث ذكرتُ لك فإنه أحسن، وأتكفل لك بجميع ذلك. فقال لي: إن شاء الله أفعل ما أشرتَ به. ورأيت كأن قد جيء برجلٍ مديد القامة، أصهَبَ الوجه واللحية، في ثياب رثّة وهيئة قبيحة كأنه يراد قتله. ثم هببتُ من رقدتي متعجبا من ذلك، وأظنه خيرا وإقبالا للمذكور وأمنّا له من نوائب الزمان. هذا ما رأيته وعبرته، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

السيد محمد سعيد الشامي